AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

(ISSUE No. 1940) 19 - 25 February 2011 (Year 41)

العدد (١٩٤٠) ١٦ - ٢٢ ربيع الأول ١٤٣٢هـ / ١٩ - ٢٥ فبراير ٢٠١١م (السنة ٤١)

www.magmj.com

الكويت تعيش أفراح الاحتفالات بثلاث مناسبات كبرى..

مصر.. الثورة تنتصر

عدد خاص

الكويت ٥٠٠ فلس. السعودية ٥ ريالات. البحرين ٦٠٠ فلس. قطر ٦ ريالات. الإمارات ٦ دراهم. سلطنة عمان ٧٠٠ بيسة. الأردن دينار. لبنان ٣٠٠٠ ليرة. المغرب ١٥ درهماً

USA $ 3 - Canada $ 4 - Australia AUD 4 - URB - India INR 65 - Pakistan PRS 65 - Turkey TRY 4,5 - U.k £ 2

بسم الله الرحمن الرحيم



AL-MUJTAMA'A

إسلامية. أسبوعية تأسست عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م
تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

العـدد ١٩٤٠ السنة (٤١)

موقع المجتمع على الانترنت:
www.magmj.com

المراسـلات
العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠)
الصفاة. الرمز البريدي (١٣٠٤٩)
بريد التحرير الالكتروني:
mujtamaa@gmail.com
info@almujtamaa.com
www.magmj.com
موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com
هاتف التحـرير: ٢٢٥١٩٥٣٩ - ٢٢٥١٤١٨٠.
٢٢٥١٣٦١٦. ٢٢٥٢٨٦٨٤ (داخلي ١٠٥).
فاكس المجلة: ٢٢٥٦٠٥٢٤ - ٢٢٥٢١٨٢٦
الاشتراكات والتوزيع: ٢٢٥٦٠٥٢٥ - ٢٢٥٦٠٥٢٦
sales@almujtamaa.com

في هذا العدد

مصر.. الثورة تنتصر



الاشتراكات:

الكويت ودول الخليج:
٢٠ ديناراً كويتياً أو ما يعادلها..
باقي أنحاء العالم:
١٠٠ دولار أمريكي.
للمؤسسات والشركات:
٤٥ ديناراً كويتياً..
باقي دول العالم:
١٥٠ دولاراً أمريكياً.

الإعـلانات:

امتياز الإعلان: مجلة المجتمع
ت: ٢٢٥٦٠٥٢٥ - ٢٢٥٦٠٥٢٦ الكويت.

وكلاء التوزيع:

الكـويت: شركة الخليـج:
ت: ٢٤٨٤١٠٦٧ ـ ٢٤٨٤١٠٤٥
ف: ٢٤٨٤١٠٢٦ ـ ٢٤٨٣٦٦٨٠
السـعودية:
الشركة السـعودية للتوزيع:



www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض: ٠٠٩٦٦١٢١٢٨٠٠٠
فرع الرياض: ٠٠٩٦٦١٢٧٠٥٨٣٧
فرع جدة: ٠٠٩٦٦٢٦٥٣٠٩٠٩ - فرع الدمام: ٠٠٩٦٦٣٨٤٧٣٥٦٩



رسالة الشعب المصري للعالم

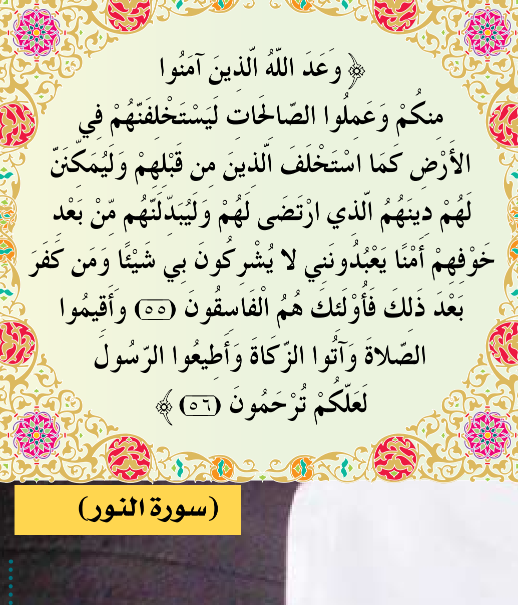
رسالة مزلزِلة أرسلها الشعب المصري للعالم مساء الجمعة ٢٠١١/٢/١١م يوم أعلن الرئيس السابق «حسني مبارك» تنحّيه عن السلطة؛ إذعاناً لمطالب الشعب على مدى ثمانية عشر يوماً (١/٢٥ - ٢٠١١/٢/١١م).. هي رسالة المظلوم إذا طفح به الكيل، ويا لها من رسالة!.. ورسالة الصابر المثابر دون كلل أو ملل حتى ظن الناس أنه تحوّل لجثة هامدة.. ورسالة الواعي الذي التمس للطغاة كل الأعذار؛ علهم يتراجعون عن طغيانهم؛ فكانت أعتى ثورة شعبية عرفها التاريخ المصري.. زلزلت كل أركان الدولة لتعيد بناءها من جديد، ولاشك أنها ستغير وجه المنطقة بأسرها بعد أن قلبت موازينها.

إن الدرس البليغ الذي لقنته تلك الثورة المعجزة للأنظمة الدكتاتورية؛ هو أن الظلم والجبروت وحكم الشعوب بالحديد والنار لا يمكن أن يصمد أمام هدير الجماهير الغاضبة، مهما تترست تلك الأنظمة بكل أنواع القوة العسكرية والأمنية، ومهما تدثرت بالدعم السياسي الإقليمي والدولي، ومهما زيّفت الحقائق وضللت الشعوب بآلة إعلامية ساحرة في قدرتها على قلب الحقائق.. لكن كل ذلك لا يجدي نفعاً، فالنهاية المحتومة هي: أن تلك الأنظمة إلى زوال والشعوب هي الباقية، وإن كانت تلك الحقيقة باتت واضحة جلية لا لبس فيها؛ فلماذا لا تسارع الأنظمة الجاثمة على أنفاس شعوبها لمراجعة سياساتها كاملة، والتحرك لإقرار الحقوق المشروعة للشعوب بكافة أنواعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحياتية، واتخاذ خطوات تصالحية جادة تصب في إزالة رواسب السنوات الماضية والاحتقانات المتضخمة في النفوس، وتقوي من روح الانتماء لدى الشعوب قبل فوات الأوان، وقبل وقوع الانفجار الثائر الذي لا يبقي ولا يذر؟.. إن الكَيّس من اتعظ بغيره، وإن ما جرى في تونس حيث كانت أعتى الدكتاتوريات، وفي مصر أعرق الدكتاتوريات؛ خير واعظ وأبلغ درس.

إن ثورة الشعب المصري التي سيحفرها التاريخ في أنصع صفحاته قد حققت بنجاح كبير الخطوة الأولى نحو التغيير الجذري للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومازالت هناك خطوات أهم وأكثر صعوبة في سبيل صناعة النهضة الكبرى، وسيكون مطلوباً من كل القوى الحية التي ساهمت في تفجيرها العمل بدأب وجهاد لحراسة تلك الثورة، حتى لا يتم الالتفاف عليها، أو القفز عليها من قبل قوى النظام السابق التي مازالت منتشرة في مراكز صناعة القرار، أو القوى التي رفعت يافطات المعارضة وكانت في حقيقتها لجاناً تابعة لـ«الحزب الوطني»، وعارضت ونالت من شباب الثورة في بداياتها، وتأرجحت مواقفها خلال فعاليات الثورة حسب الموجة.

إن الشعب الذي قدم نموذجاً حضارياً في صناعة وإدارة ثورته بصورة أذهلت العالم؛ مطالب باليقظة والتلاحم ليواصل المسيرة الطويلة نحو تحقيق كل أهدافها كاملة غير منقوصة.. عندها تكون مصر قد وضعت أقدامها ومن خلفها المنطقة بأسرها على أعتاب النهضة الكبرى.■





(سورة النور)



قطـر:
مكتبة الثقافة ت: ٤٦٢٢١٨٢ / ف: ٤٦٢١٨٠٠

البحـرين:
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع / ت: ٧٢٥١١١ / ف: ٧٢٣٧٦٣

المغـرب:
الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع: الدار البيضاء. ص.ب ١٣٠٠٨. الدار البيضاء الرئيسة
ت: ٠٠٢١٢٢٢٢٤٩٢٠٠ فاكس: ٠٠٢١٢٢٢٢٤٩٢١٤

U.K : UNIVERSAL PRESS DISTRIBUTION
LTD. - 11 Power Road, London W4 5PY
Tel: 0181- 742 3344 Fax: 0181- 742 1280
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190 - Fax. (90- 1) 5140883.

الذكرى الخمسون لاستقلال دولة الكويت 1961-2011 - 20 عاماً على تحرير دولة الكويت 1991-2011 - 5 أعوام على تولي حضرة صاحب السمو أمير البلاد مقاليد الحكم

الكويت تعيش أفراح الاحتفالات بثلاث مناسبات كبرى..

الذكرى الخمسين للاستقلال والعشرين للتحرير والخامسة لتولي سمو الأمير مقاليد الحكم

كتب: جمال الشرقاوي

تعيش الكويت هذه الأيام أفراح عارمة بالاحتفال بثلاث مناسبات وطنية كبرى: الذكرى الخامسة لتولي سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح مقاليد الحكم (٢٩ يناير عام ٢٠٠٦م)، والذكرى الـ ٢٠ للتحرير (عام ١٩٩١م)، والذكرى الـ ٥٠ للاستقلال (عام ١٩٦١م).

فقبل خمس سنوات تولى سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح مقاليد الحكم، شهدت خلالها البلاد نهضة كبيرة وحرية واسعة، وقد حقق سموه للكويت خلال هذه السنوات عطاءً كبيراً وإنجازات تكلل مسيرة التقدم المتواصلة في البلاد.

ويعد سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح الحاكم الـ١٥ من أسرة آل الصباح، والأمير الخامس في مسيرة الدولة الدستورية؛ حيث تولى سموه مقاليد الحكم في ٢٩ يناير عام ٢٠٠٦م بعد أن أدى اليمين الدستورية في جلسة خاصة لمجلس الأمة.

أولى الكلمات

وفي أولى كلمات سموه بعد مبايعته أميراً وأدائه اليمين الدستورية، وعد الشعب الكويتي بتحمل الأمانة وتولي المسؤولية، وعلى مواصلة العمل من أجل الكويت وأهلها، ودعا سموه الجميع للعمل من أجل جعل الكويت دولة عصرية حديثة مزودة بالعلم والمعرفة، يسودها التعاون والإخاء والمحبة، ويتمتع سكانها بالمساواة في الحقوق والواجبات، مع المحافظة على الديمقراطية وحرية الرأي والتعبير.

وأكد سموه في كلمته إلى الشعب الكويتي «أن القائد لا يمكنه أن ينجح إلا بتعاون شعبه معه تعاوناً حقيقياً»، مناشداً المواطنين أن يجعلوا مصلحة الوطن قبل مصلحتهم، ويتجاهلوا منافعهم الذاتية في سبيل منفعة الجميع، وأن يحترموا القانون والنظام، ويحرصوا على مصلحة الوطن وممتلكاته وإنجازاته.

وقال سمو الأمير: إن الشعب الكويتي كان عبر تاريخه شعباً قوياً، فقد صمد إزاء التحديات والمتغيرات، وعمل على أن تكون للكويت - على صغرها - مكانة بارزة ووجود حيوي ثابت، وقد تعلق بأرضه وأحب وطنه.


الأمير الراحل عبدالله السالم الصباح


سمو الأمير صباح الأحمد الجابر الصباح

أعلن استقلال الكويت في ١٩ يونيو ١٩٦١م في عهد الشيخ عبدالله السالم الصباح الذي تولى الحكم عام ١٩٥٠م وكان عيد جلوسه في ٢٥ فبراير فاتفق على جمع العيدين في يوم واحد

وأضاف سموه: إن الكويت هي التاج الذي على رؤوسنا، وهي الهوى المتغلغل في أعماق أفئدتنا، فليس في القلب والفؤاد من شيء غير الكويت، وليس هناك حب أعظم من حب الأرض العزيزة التي عشنا على ثراها وسطرنا عليها تاريخنا وأمجادنا ومنجزاتنا.

وشهدت السنوات الخمس الماضية نشاطات بارزة لسمو أمير البلاد.

ذكرى التحرير

أما المناسبة الثانية، وهي الذكرى العشرون لتحرير الكويت من الغزو العراقي الغاشم (٢٦ فبراير ١٩٩١م)، وهي ذكرى اندحار قوات الغزو العراقية بعد أن احتلت الكويت في ٢ أغسطس ١٩٩٠م، وعاثت فساداً وأتت على الأخضر واليابس.

عيد الاستقلال

وأخيراً، تأتي الذكرى الخمسون لاستقلال الكويت لتكون ختام الاحتفالات هذه الأيام.

وقد أعلن استقلال دولة الكويت في

التاسع عشر من شهر يونيو عام ١٩٦١م في عهد الشيخ عبدالله السالم الصباح - يرحمه الله - الذي تولى الحكم عام ١٩٥٠م، وكان عيد جلوس سموه في الخامس والعشرين من شهر فبراير، فاتفق على أن يجمع العيدان في يوم واحد، ومنذ ذلك الحين ودولة الكويت تحتفل بعيدها الوطني في الخامس والعشرين من فبراير من كل عام.

ومنذ فجر الاستقلال، والكويت تسير بخطى حثيثة نحو النهضة والتنمية الشاملة؛ لبناء الإنسان الكويتي، وتحقيق الرفاهية والعيش الكريم له، تحت القيادة الرشيدة لآل الصباح الكرام حكام الكويت.

كما حرصت الكويت على إقامة علاقات وثيقة مع الدول العربية والصديقة في شتى أنحاء العالم، بفضل سياستها الرائدة الحكيمة في التعامل مع مختلف القضايا الإقليمية والدولية، وسعيها الدائم إلى تحقيق الأمن والسلام في العالم.

وعلى الصعيد الإنساني، لم تتوانَ الكويت عن تقديم يد العون والمساعدة لأشقائها وأصدقائها لمواجهة الأزمات والكوارث التي اجتاحتها.

حدوث الاستقلال

وقد حصلت دولة الكويت على الاستقلال في عهد الشيخ عبدالله السالم الصباح في ١٩ يونيو من عام ١٩٦١م، حيث طلبت الكويت من بريطانيا إلغاء معاهدة ٢٣ يناير ١٨٩٩م المعقودة بينهما، وقد أكدت الاتفاقية الجديدة المعقودة بين الكويت وبريطانيا استقلال الكويت استقلالاً تاماً في الشؤون الداخلية والخارجية، وتم إعلان استقلال الكويت «دولة مستقلة ذات سيادة كاملة».

لقد كان تاريخ استقلال الكويت بداية مرحلة جديدة من التقدم والازدهار، وأخذت شكل الدول العصرية.. وقد عمت الكويت فرحة وسعادة لم تشهدها من قبل، فقد قطع راديو الكويت برامجه المعتادة ليذيع كلمة وجهها الشيخ عبدالله السالم الصباح لأبناء وطنه والأمة العربية جمعاء.

وقد جاء في الكلمة: «شعبي العزيز.. إخواني.. أولادي.. في هذا اليوم الأغر من أيام وطننا المحبوب.. في هذا اليوم الذي ننتقل فيه من مرحلة إلى مرحلة أخرى من مراحل التاريخ.. ونطوي مع انبلاج صبحه صفحة من الماضي بكل ما تحمله، وما انطوت عليه، لنفتح صفحة جديدة تتمثل في هذه الاتفاقية التي تسمعونها الآن، التي نالت بموجبها الكويت استقلالها التام وسيادتها الكاملة.

في هذا اليوم، والسرور يملأ الجوانح، والابتسامات المشرقة تعلو الوجوه، نرفع أبصارنا بخشوع إلى المولى عز وجل لنحمده سبحانه ونشكره على ما وفقنا إليه، وأنعم علينا به، ولقد كان التعاون الوثيق بين الحكومة، ممثلة في المسؤولين من أبناء الأسرة الحاكمة وبين الشعب المخلص، من المغزى الجميل، ما أشاع الغبطة والاستحسان في نفسي، وجعلني أتمنى استمرار مثل هذا التعاون لخير البلد...».

ثم يمضي أمير الكويت في رسالته إلى «شعبه العزيز وإخوانه وأولاده» حتى يبلغ ختامها فيقول:

«وختاماً، فإننا نرجو ونحن على أبواب عهد جديد أن تبدأ الكويت انطلاقها بتقوية أواصر الصداقة والأخوة مع شقيقاتها الدول العربية، وهيئة الأمم المتحدة.. وغيرها من المنظمات التي تعمل لخير العالم وأمنه وسلامه، كلما كان ذلك في الإمكان.. والله ولي التوفيق..».

هذه الكلمة عبّر فيها الأمير الراحل عن الابتهاج والفرحة اللذين غمرا النفوس والقلوب بتحقيق الاستقلال الذي جاء بعد مساعي مكثفة من الحكومة الكويتية طوال النصف الأول من عام ١٩٦١م، وإلغاء اتفاقية ١٨٩٩م، والتي تم توقيعها قبل ٦٢ عاماً من الاستقلال، والتي كانت تمثل في رأي بعضهم قيداً على سياسة واستقلال الكويت.

وفي شهر سبتمبر من السنة نفسها، أصدر الشيخ عبدالله السالم الصباح القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٦١م في شأن العلم الوطني لدولة الكويت، ونص القانون في مادته الأولى على أن يكون العلم الوطني لدولة الكويت على شكل مستطيل أفقي طوله يساوي ضعف عرضه، ويقسم إلى ثلاثة أقسام أفقية متساوية ملونة أعلاها الأخضر فالأبيض فالأحمر، ويحتوي على منحرف أسود اللون قاعدته الكبرى من جهة السارية ومتساوية لعرض العلم، والقاعدة الصغرى مساوية لعرض اللون الأبيض، وارتفاعه يساوي ربع طول العلم.

واستوحيت ألوان العلم من بيت شعر عربي للشاعر صفي الدين الحلي، وهو:

بيض صنائعنا خضر مرابعنا
سود وقائعنا حمر مواضينا

مرحلة ما بعد الاستقلال

وكان أول عمل تنظيمي لجهاز الحكم بعد الاستقلال، إجراء انتخابات لإنشاء مجلس تأسيسي من أبناء الشعب لوضع دستور دائم للكويت، يستند إلى المبادئ الديمقراطية والقوانين والتشريعات المنظمة لمختلف مرافق الحياة، وقد أصدر الشيخ عبدالله السالم يرحمه الله في ٢٦ أغسطس ١٩٦١م مرسوماً أميرياً بهذا الشأن.

وفي ٢٠ يناير ١٩٦٢م، افتتح سموه أول جلسات المؤتمر، وفي ١١ نوفمبر ١٩٦٢م، صدق على الدستور الذي أقره المجلس التأسيسي، وبه تحدد نظام الحكم في الكويت بأنه:

- نظام الحكم ديمقراطي.

- السيادة فيه للأمة وهي مصدر السلطات جميعاً.

- الكويت إمارة وراثية في ذرية المغفور له بإذن الله الشيخ مبارك الصباح.

تتمثل المسؤوليات الداخلية للدولة في:

- توفير الأمن والطمأنينة والوظائف المناسبة للسكان.

- توفير الخدمات الأساسية؛ كالتعليم، والصحة، والكهرباء.

وتتمثل المسؤوليات الخارجية للدولة في:

- الدفاع عن الوطن من أي اعتداء خارجي.

- المشاركة في المنظمات العالمية.■

جمعية الإصلاح تهنئ الشعب الكويتي بأعياده

تتقدم جمعية الإصلاح الاجتماعي بخالص التهنئة إلى سمو أمير البلاد، وسمو ولي العهد، والشعب الكويتي كافة؛ بمناسبة أعياد الكويت المباركة، سائلين الله سبحانه وتعالى أن يديم نعمة الأمن والأمان والرخاء على بلادنا والأمة الإسلامية كافة.■



في مجرى الأحداث

بقلم: شعبان عبدالرحمن shaban1212@Gmail.com

شعب يولد من جديد وثورة تشق طريقها باقتدار



سقط الرئيس؛ فسقط المعبد بكل أركانه على رؤوس كهنته.. وتبخرت دولة الظلم بين عشية وضحاها، واختفى حرّاسها في لمح البصر، ومن تبقى فهو يتوارى عن الأنظار بعد أن كانوا يتسابقون على الكاميرات.. وتشق الثورة طريقها بكل قوة، وتزداد جذوتها توهجاً مع مرور الأيام حتى يتم تحقيق كل المطالب.. يوم التنحي - في السادسة والثلث من مساء الجمعة، الحادي عشر من فبراير - توافَق مع أحداث لها دلالتها، وهي من تصاريف قدر الله الحكيم الخبير.. ففي ذلك اليوم - يوم تنحّي «مبارك» - شيّعت مصر بكل احترام وتقدير الفريق «سعدالدين الشاذلي» أحد أبطال حرب أكتوبر، ورئيس أركان الجيش المصري حينها، الذي سجنه نظام «مبارك» ثلاث سنوات، وقد شيّعه الشعب بكل إجلال وتقدير، بينما كان يشيّع «مبارك» بكل غضب.. وفي ذلك اليوم أيضاً مرت ذكرى استشهاد الشيخ «حسن البنا» الذي اغتالته زبانية الملك «فاروق».. لم يكن بين «البنا» و«مبارك» أي احتكاك، ولكن كان بينه وبين جماعة البنا (الإخوان المسلمون) تاريخ طويل من الاضطهاد والظلم.. وبعد ذلك التاريخ الطويل يرحل «مبارك» ويحتفل الإخوان مع الشعب بتلك الثورة العظيمة.

إذاً.. هنا شعب يولد من جديد بعد تعسّر دام أكثر من تسعة وخمسين عاماً (١٩٥٢ - ٢٠١١م).. فقد كانت في٢٣ يوليو ١٩٥٢م ثورة قام بها الجيش وتعلّق بها الشعب، وحلم معها ومع مبادئها الستة كثيراً، لكن أحلامه تبددت إلى سراب بعد طعن العسكر تلك الأحلام في مقتل، عندما قتلوا حريته وطاردوا فكره ومعتقده، حتى أصبح يسير داخل «الحيط».. ثورة يوليو لها وعليها، لكن سادة «الحزب الوطني» عليهم كل شيء فلا مقارنة إذاً.. فثورة يناير هي ثورة الشعب التي انحاز إليها الجيش، واحترم إرادتها وقراراتها، ويعمل بشرف وأمانة - حتى كتابة هذه السطور - على تنفيذ مطالبها لإيجاد مصر الحديثة.. ولا نبالغ إذا قلنا: إن الشعب المصري يولد من جديد.. نعم، الشعب هو الشعب، لكنه أراد أن ينفض ركام الظلم والطغيان، ويتخلى عن رصيد ثقيل من السلبية واللامبالاة وتحمل الضيم والبغي.. أراد كل ذلك مرة واحدة، وكان الله بجانبه، ومازال الشعب ماضياً في شوطه، مصرّاً على الولادة من جديد، لكن فرقاء كُثر يحاولون صدّه وعرقلته بطرق بهلوانية أو التفافية؛ ظاهرها الحرص على مصالحه، وباطنها محاولة التشبث بالبقاء، فمازالت الطبقة الحاكمة تفرد شباكها على المجتمع في المؤسسات والبنوك وكثير من الوزارات والهيئات، ومازال وزراء «الحزب الوطني» يصرّفون شؤون البلاد في الحكومة الحالية، ومازال نائب الرئيس ورئيس ديوانه والطاقم المعاون لهما يمارسون - كما أشيع - ...

والسؤال: هل يمكن أن نصدق أن هؤلاء جميعاً باقون للعمل على استقرار النظام الجديد وتلبية مطالب الثوار؟.. وإن كانوا كذلك؛ فلماذا لم يلبوا - لا أقول خلال ثلاثين عاماً، وإنما فقط في بداية الثورة - تلك المطالب، ألا يراود هؤلاء وهم يبسطون سلطانهم على جانب من النفوذ، ألا يراودهم الانقضاض على الثورة أو الالتفاف عليها لإبقاء ولو قدر من النظام القديم؟ وفي الوقت نفسه، أليس هناك اتصال أو تنسيق بأي قدر وبأي نوع بين هذه الطبقة القديمة وبين العدو الصهيوني والتيار المتصهين في المنطقة؛ لمحاولة إعادة الأمور إلى الوراء؟.. ألم نسمع تصريحات «نتنياهو» و«تسيبي ليفني» و«إيهود باراك» وغيرهم من قادة العدو الصهيوني وكلها تكشف مدى حرص الكيان الصهيوني المستميت على بقاء النظام القديم؟.. إن إزالة المنظومة كلها أمر حتمي، ولا مبرر لبقاء فرد منها، ولو غفل الشعب لحظة فلن يتحقق ذلك.. هو تدافع - إذاً - بين نظام تهاوى ومازالت بقاياه تنافح للبقاء ويعاونها «خارجٌ» صهيوني ومتصهين، وبين شعب أراد الحياة بحق.. أراد أن يولد من جديد ويزداد إصراراً على ذلك يوماً بعد يوم.■


رحل
كل عيد و مصر بخير

في يوليو الماضي (٢٠١٠م)، نشرت مجلة «إيكونوميست» البريطانية دراسة مهمة بعنوان The long wait أو «الانتظار الطويل»، كانت تتنبّأ فيه ضمناً بما سيحدث في مصر من ثورة، عبر سرد معلومات عن التدهور الاقتصادي والفساد والرشوة والمحسوبية المحيطة بالرئيس «مبارك»، وعدم مبادرته بوضع نهاية له، وصل إلى حد وضع صورة مركّبة على غلاف العدد للرئيس بالزي الفرعوني كتمثال يغرق في رمال الصحراء.

تؤرِّخ لفجر عربي جديد..

مستقبل مصر بعد «ثورة ٢٥ يناير»

محمد جمال عرفة

وكأن المجلة كانت تستلهم تصريحاً شهيراً لحكمدار مصر «الإنجليزي» وحاكمها لمدة ثلاثين سنة «جون راسل باشا» قبل حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، يقول فيه: إن «المصريين مثل رمال الصحراء الناعمة، تستطيع أن تمشي فوقها مسافة طويلة، ولكنك لا تعرف متى تفاجئك وتتحرك وتبتلعك»!

وقتها، قبل ستة أشهر، اعتبرت المجلّة أن التغيير قادم إلى مصر لا محالة، مشيرة في الدراسة - التي نُشرت بعنوان آخر هو «الرمال المتحرّكة: التغيير قادم إلى حلفاء الغرب العرب» - إلى أن كل المؤشّرات تؤكّد أن هناك تغييراً وشيكاً على الساحة في مصر.

والحقيقة أن التوقع الجيّد للمجلة لهذه الثورة بناء على معطيات سلبية سياسية واقتصادية، كان افتراضاً لم يغفله أحد في مصر، ولكن ظل السؤال: من يقوم بهذه الثورة؟ وهل خصائص «الصبر» التي يتحلى بها الشعب المصري على حكامه بحسب التاريخ جعلته ساكناً بعد ثلاثين عاماً من حكم «مبارك»؟

ولم تتأخر الإجابة، عندما انطلق الشباب، وسالت الدماء، لينضم لها عفوياً كل أصحاب المظالم في مصر؛ سواء سياسياً أو اجتماعيا أو اقتصادياً.

تديُّن حقيقي

أما ما لم ترصده المجلة، وظهر لاحقاً في «ثورة ٢٥ يناير»، فهو ظاهرة التديُّن الحقيقي؛ إذ كانت صيحة «الله أكبر» أحد شعارات ثورة الشباب المصري، وكانت ثورتهم أول ثورة تشهد متظاهرين يصلون فروضهم في الشارع أمام قوات الأمن، وهي تطلق عليهم في ركوعهم وسجودهم خراطيم المياه والرصاص والغازات المسيلة للدموع(!)، بل وكان يقودها العشرات من علماء الأزهر، وكل هذا بدون تطرّف أو قيادة تيار بعينه لهم، فيما انخرط المسيحيون في صلوات متتالية في ميدان التحرير.

أحد أبرز مظاهر الثورة أن أوائل الداعين إليها والمنظّمين لها لم يكونوا فقراء يبحثون عن المال

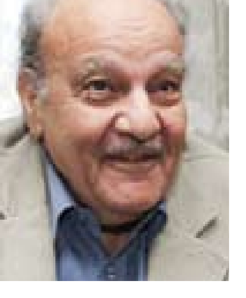
كما أن أحد أبرز مظاهر هذه الثورة أن أوائل الداعين لها والمنظمين لها لم يكونوا فقراء يبحثون عن المال فقط، وإنما من أسر ثرية تمتلك أجهزة الاتصالات الحديثة من أجهزة «موبايل» وكمبيوتر وغيرها.. وظهروا في ميدان التحرير بصورة لافتة دفعت بعضهم إلى الحديث عن شباب الأحياء الراقية، وتم رصد وجود شبكة واسعة من أعمال الخير والتبرّعات بين المصريين قبل وبعد الثورة تساهم في استقرار الأوضاع فيها، وتساهم بوضوح في انخفاض معدّلات الجريمة؛ بحيث يشعر الفقراء بأنه في وسعهم أن يبقوا في منازلهم ويحصلوا على الحد الأدنى الذي يسمح لهم بالبقاء، وكان لها نفس الدور خلال الثورة بتوفير مستلزمات المعيشة في الميدان تحت المطر الغزير من بطاطين وجوارب ومظلات وأقمشة بلاستيكية؛ بل وقيام هؤلاء الشباب بتجميل الميدان بعد نجاح ثورتهم.

المستشار البشري: الثورة لم تنجح كلياً حتى الآن.. لأنه لم يترتب عليها تغيير كامل للنظام

ماذا بعد؟

بعد احتفال المصريين بسقوط وتنحّي الرئيس «مبارك»، كانت الهواجس لا تزال تتسرّب: هل يعني هذا إسقاط النظام بالكامل؟ هل انتصار الثورة ناقص لأن أنصار النظام القديم مازالوا في الحكومة بعدما أبقى الجيش على الحكومة القديمة لتسيير الأعمال؟ هل يسعى قادة الجيش إلى حالة من الوسطية بين ما يطالب به الشباب، ورغبات الجيش في عدم انجراف مصر نحو حالة من الحرية ربما تؤثر على استقرارها وتخلق حروباً؟

كل هذا في ضوء المخاوف التي يردّدها الصهاينة والأمريكان من عودة قوية للإخوان المسلمين على الساحة السياسية، بعد دورهم القوي في إنجاح الثورة، ومن ثم يمارسون دوراً - هم أو التيارات القومية الأخرى - في إلغاء معاهدة السلام مع الكيان الصهيوني، أو الدخول مع «تل أبيب» في خلافات تنتهي بحروب، برغم ذكاء جماعة الإخوان في غلق هذا الملف مبكراً بإعلان عدم ترشحها للرئاسة، وعدم نيّتها السيطرة على البرلمان.



واقع الأمر - كما يقول المفكر الإسلامي المستشار «طارق البشري» نائب رئيس



مجلس الدولة الأسبق - أن «الثورة لم تنجح كلياً حتى الآن؛ لأنه لم يترتب عليها تغيير كامل للنظام، كما أن الدستور القديم ما زال قائماً، وليس من الضروري تغييره بالكامل».

ويقول: إن «الوضع السياسي هو أساس النظر في الوضع الدستوري والقانوني، وهو أساس النظر في التشكيل الدستوري المطلوب والاختيار بين البدائل القانونية المتاحة، فنحن في حالة ثورية شعبية عميقة، وهي أشمل وأعمق مما مر بنا في عشرات السنين الماضية، من حيث الانتشار الشعبي والحماس، واستخدام أكثر أساليب العصيان المدني شمولاً وتحضراً».

إلغاء الدستور

ويضيف البشري: إن «الدستور في تقديري باقٍ ما دامت لم تسيطر على السلطة جماعة جديدة غير من هم موجودون فيها، وإن إزاحة أجنحة من السلطة واسترداد أجنحة أخرى منها لكامل الأوضاع في الحكم لا يفيد في تقديري انتهاء العمل بالدستور.. وإذا أعلنت الجماهير في كل شوارع مصر سقوط الدستور، فلا يكون ذلك إسقاطاً ما دامت الفئة الحاكمة كلها أو بعضها لا تزال قابضة على ناصية الأمور.. وهنا أيضاً يجب أن نتذكر أن السياسة أولاً، والوضع السياسي هو الأساس، ثم يأتي بعد ذلك التعبير الدستوري عن هذا الوضع، فما دامت الجماعة الحاكمة في مركز السيطرة على الدولة؛ فإن الدستور المعبِّر عن الوضع القائم بها يبقى قائماً، وإن مجرد القيام بالثورة لا يُسقط الدستور إلا بعد أن تتولى القوة الثائرة السلطة فعلاً».

أهم عوامل النجاح في إرساء ديمقراطية راسخة هو وجود ائتلاف مدني قوي متماسك قبل التغيير

ويتابع: «أما القول: إن الدستور القائم سقط بالعملية الثورية التي بدأت في ٢٥ يناير، فهو قول غير سديد في ظني من الناحيتين السياسية والدستورية؛ لأن قوة جديدة لم تصل إلى الحكم من الناحية السياسية بعد، ولأن من قال بسقوط الدستور من الناحية القانونية، إنما استند في زعمه إلى المادة الثالثة من الدستور، وهي تنص على أن «السيادة للشعب وحده، وهو مصدر السلطات، ويمارس الشعب هذه السيادة ويحميها ويصون الوحدة الوطنية على الوجه المبين بالدستور».. فالدستور لا يُلغى جملة أبداً إلا من خارجه، وبفعل سياسي تسيطر به قوة سياسية جديدة على السلطة، أو تلغيه السلطة القائمة إن وجدت أنه لم يعد يعبِّر عن أوضاع جديدة تراها أو تُنشئها أو تكون آلت إليها.. أما أن يسقط ذاتياً ومن تلقاء ذاته بفعل ثوري لم يتولَّ السلطة به أحد بعد، فهذا ما لا أظنه صواباً».

مخاوف الشباب

والحقيقة أن هذا التخوف من قِبَل شباب الثورة هو ما دفع الكثير منهم إلى البقاء في ميدان التحرير، مطالبين بتنفيذ مطالبهم أولاً، وعلى رأسها: حل البرلمان، والتعهد بوضع دستور جديد، وإجراء انتخابات حرة برلمانية ورئاسية، وإلغاء حالة الطوارئ، والسماح بحرية الإعلام والصحافة.. وأغلبها مطالب لا تتحقق إلا بتغييرات في الدستور الحالي، الذي وصفه كثير من المشرعين بأنه يخلق فرعوناً ودكتاتوراً، حتى ولو لم يكن الجالس على السلطة يرغب بذلك!!

ويعزز هذه المخاوف الشبابية أن الدراسات السياسية تؤكد سجلاً متبايناً من النجاح طويل الأمد للانتفاضات الشعبية.. فوفقاً لتقرير لمجموعة «فريدوم هاوس» لحقوق الإنسان، ومقرها واشنطن، تحت عنوان «كيف تظفر بالحرية: من المقاومة المدنية إلى الديمقراطية الراسخة»، تبيَّن أن العديد من حالات الانتقال من الحكم الشمولي لم تُفضِ إلى الحرية الكاملة.

وتفصيل هذا بلغة الأرقام يشير إلى أنه من بين ٦٧ دولة تمت دراسة حالتها، انتقلت من الحكم الاستبدادي على مدى الجيل السابق، أصبحت ٣٥ دولة فقط «حرة»، و٢٣ «حرة جزئياً»، و٩ «غير حرة»، وأن أبرز عوامل النجاح في إرساء ديمقراطية راسخة هو «وجود ائتلاف مدني قوي متماسك قبل التغيير، وانتهاج المعارضة أساليب بعيدة عن العنف»، وهو ما يسعى الشباب حالياً لتنفيذه عبر تشكيل هيئات للثورة تتفاوض مع الجيش.■



عاشت مصر لحظة تاريخية نادرة بانتصار ثورتها الشعبية، ورحيل «مبارك» عن الحكم.. ورغم التضحيات الجسيمة التي قدّمها الشعب وفي طليعته الشباب، إلا أن الجميع يدرك أن ما هو آتٍ هو الأكثر صعوبة وخطورة؛ فالبناء أصعب من الهدم، ومصر تحتاج إلى عمليات بناء جبّارة في مختلف المجالات، بعد أن أفسد النظام السابق كل مناحي الحياة المعنوية والمادية.

البناء أصعب من الهدم

بعد الثورة.. مخاوف وأخطار

أحمد عز الدين

واليوم، يتطلع الشعب إلى بناء نظام جديد يستفيد من تلك المشاعر المتدفقة ولا يبدّدها.. وقد نجحت الثورة الشعبية بتضافر جهود أربعة عناصر رئيسة، هي:

- **الشباب:** الذين أطلقوا شرارة الثورة، وكانوا أولى ضحايا القمع الوحشي الذي مارسه إليه النظام السابق.

- **الإخوان المسلمون:** الذين ضحوا من قبل، وشارك شبابهم منذ البداية، ثم ساندوا الثورة بكل طاقتهم البشرية وخبراتهم العملية.

- **الجيش المصري:** الذي لم يتدخل ضد الثورة، ثم انحاز لها.

- **الإعلام:** وبخاصة القنوات الفضائية التي جعلت العالم كله يعيش الحدث لحظة بلحظة، ومن الإنصاف أن نقول: إن الإعلام غير المصري هو صاحب الفضل الأكبر، بعد أن تآمر الإعلام الحكومي على الثورة، وتعرّض الإعلام المستقل لضغوط أمنية وسياسية، وبعد أن تم حجب الإنترنت في بداية الثورة.

وبخلاف العنصر الخارجي الأخير، فإن العناصر الثلاثة الأول تواجهها تحدّيات كبيرة:

- فالشباب الفخور بما حقق، يحتاج إلى تنظيم صفوفه، وتحديد أهدافه، والاندماج في المجتمع الذي كان غائباً عنه أو مغيَّباً، وفهم حركة التاريخ، والاستفادة من خبرات من سبقوه والبناء عليها.. وقد شكل الشباب بالفعل قيادة تمثل ائتلاف شباب الثورة، وتم توسيعها لتصبح «جبهة دعم الثورة» تضم شخصيات من تيارات سياسية وعامة، وهذا مؤشر جيد على رغبة الشباب في التعاون مع الآخرين، كما بادر الشباب إلى إطلاق حملات اجتماعية واقتصادية مثل حملة تنظيف «ميدان التحرير» قبل مغادرته، وحملة جمع التبرعات لإصلاح ما تضرر.

- والإخوان المسلمون الذين تعرضوا إبان الثورة لحملة تشويه ضخمة، أضافت لما سبقها من حملات، يحتاجون إلى بذل جهد ضخم للتواصل مع الشعب، وتوضيح مواقفهم التي جهلها الناس أو وصلت إليهم مشوهة، وتبديد المخاوف التي دأب النظام السابق وغيره على ترديدها عنهم حتى صدقها قطاع كبير من الناس.

ويحتاجون أيضاً إلى إطلاق تطمينات في عدة اتجاهات؛ للشعب والشباب والقوى السياسية، وحسم الموقف من العلاقة بين الدعوي والسياسي، وإنشاء حزب سياسي من عدمه، كما من المتوقع أن يشهد الغد انفراجة في مجالات الإعلام والاتصال والعمل الخيري، مما يحتاج منهم إلى جهود كبيرة.. ولا يخفى أن هناك مخاوف ضخمة في الخارج من نتائج رفع أو تخفيف الضغوط الأمنية والسياسية عن الإخوان.

- ومع الاعتزاز بدور القوات المسلحة إلا أن هناك مخاوف من سيطرة الجيش على السلطة؛ فالجيش مؤتمن عليها مؤقتاً لحين نقلها بطريقة سلمية لأهل السياسة حفاظاً على مدنية الدولة، ويسير الجيش حتى الآن بخطوات في الاتجاه المطلوب لكنها بطيئة، مما يثير بعض المخاوف.

التأييد الشعبي لا يعطي الثورة مشروعية دائمة.. فاستمرار التأييد مرتبط بتحقيق التغيير

وهناك مخاوف وأخطار ترتبط بالمجتمع ككل، منها:

- **تصاعد موجات الاحتجاج** الفئوية والجزئية، حتى أن رجال الشرطة أصبحوا يتظاهرون وهم الذين كانوا قبل أيام يقمعون المظاهرات.. فمصر اليوم مثل مرجل يغلي وقد تم رفع الغطاء عنه، وهذا من شأنه التأثير على الاقتصاد الذي يحتاج لإجراءات دعم الثقة.

- **التآمر على الثورة** الذي يمكن أن تقوده العناصر المتضررة، مثل مباحث أمن الدولة ورجال الأعمال والحزب الوطني.

- **يسجل التاريخ** أن كثيراً من الثورات دخلت في حروب، أهلية أو خارجية، وإذا كانت الأولى مستبعدة الآن، فالثانية ليست مستبعدة مع تربّص العدو الصهيوني بمصر، وغياب حليفه الأكبر «مبارك»، وخشيته من استرداد مصر لدورها الريادي، ونمو قوتها الاقتصادية.

ولا ننسى أن التأييد الشعبي لا يعطي الثورة مشروعية دائمة، فاستمرار التأييد مرتبط بتحقيق التغيير.■



لم يكن منظِّمو المظاهرات يتوقعون أن تصل إلى مرحلة الثورة، ومع الوجود المستمر في ميدان التحرير ظهرت قيادات ميدانية تتولى تنظيم كثير من الأمور؛ مثل تشكيل لجان النظام والتأمين والحراسة والإغاثة والعلاج والتواصل مع الإعلام والنظافة.. لكن هذه القيادات الميدانية لم تكن معروفة لأغلب المتظاهرين، ولم تكتسب الإقرار بأحقيتها في القيادة، فضلاً عن أن بعضها يرفض من حيث المبدأ فكرة التمثيل والتفويض نيابة عن الآخرين.

الثورة.. وتطوّر القيادة

أضف إلى ذلك، أن المتظاهرين أنفسهم كيان غير محدد المعالم، فهم يدخلون الميدان ويخرجون، ولا يبقون في مكان واحد، ولا يستمعون لجهة واحدة، ولا ينتمون لتيار فكري واحد، وهناك من ظل يعتصم في الميدان منذ بداية الثورة، وهناك من كان يأتي كثيراً أو قليلاً أو نادراً.. ناهيك عن أن الثورة لم تكن في ميدان التحرير فحسب، بل امتدت إلى الإسكندرية والسويس والمنصورة وغيرها.

هدف واحد

لقد وضع الشباب أمامهم هدفاً محدداً وهو إسقاط النظام، دون أن يفكروا في أي تداعيات أو جوانب أخرى لثورتهم، وكانوا حريصين على التوحد على هدف واحد بدلاً من الاختلاف عند الدخول في التفاصيل.

وعلى الجانب الآخر، شاركت تنظيمات في الثورة لها قياداتها الخاصة بها؛ فالإخوان المسلمون تواجدوا في الميدان بشكل رئيس، مع اختلاف في تقدير نسبتهم، فقد كانت النسبة ترتفع عند المواجهات الصعبة مثلما حدث في موقعة المتحف وهجوم بلطجية النظام، وكانوا يمثلون الغالبية في لجان النظام والتأمين والحراسة والإغاثة، وهم أكثر من بات بالميدان، خاصة من جاؤوا من المحافظات الأخرى وعسكروا بالميدان.

وحين حاولت دبابات الجيش التحرك لتضييق مساحة الميدان افترشوا الأرض أمام الدبابات وجلسوا فوق عجلاتها لمنعها من الحركة، وكانت نسبة الإخوان المسلمين تقل في حالات الحشد الجماهيري الذي يضم كل الشعب، وهذا أمر يسعد الإخوان على كل حال لأنهم حريصون على زيادة المشاركة الشعبية.

ورغم الوجود الكبير إلا أن الإخوان كانوا منشغلين بالأداء أكثر من اهتمامهم بالبروز الجماهيري، وكانوا حريصين على عدم التمايز.. كانوا موجودين باعتبارهم جزءاً من النسيج الوطني؛ لا يرفعون لافتاتهم ولا يرددون شعاراتهم، ولذلك لم يشعر بوجودهم كثيرون ممن اتهموا الإخوان بمحاولة السطو على الثورة، بينما هم وقودها وضحاياها منذ الساعة الأولى، وقد علمت من بعض مصادر الإخوان أن العشرات من شباب الإخوان ورجالهم سقطوا شهداء، إضافة إلى مئات المصابين، فضلاً عن المعتقلين.

وواجه شباب الثورة مشكلة عند طرح النظام مبادرته للحوار الوطني، فهم لم يهيّئوا أنفسهم لذلك، وكانوا يصرون على تحقيق هدفهم الأول وهو إسقاط النظام لا التفاوض معه، وحين ذهب ثلاثة من الشباب المنتمين للجمعية المصرية للتغيير للتفاوض مع نائب الرئيس المخلوع، كان ذلك دون تفويض من أحد.. وحين أعلن الإخوان المسلمون عن موافقتهم على الحوار ثارت الشكوك نفسها، وسارع بعضهم إلى القول: إن الإخوان لا يمثلون ثورة الشباب، ولم يقل الإخوان أصلاً: إنهم يمثلون الشباب، ولكن قالوا: إنهم معهم في كل مطالبهم، وإن الهدف من الحوار هو تبليغ النظام السابق مطالب الثورة.. وقد فشل الحوار بعد جلسة واحدة حين تبين أن النظام لم يعِ حجم التغيير الذي أحدثته الثورة، وظل على مراوغته.

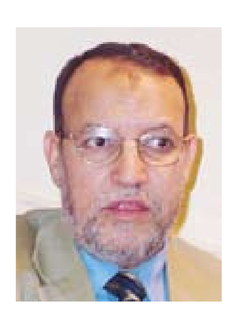
وضع الشباب أمامهم هدفاً محدّداً وهو إسقاط النظام.. دون أن يفكروا في أي تداعيات أو جوانب أخرى لثورتهم

تأطير العمل

وقد فرضت تطورات الأحداث على شباب الثورة التوافق مع مقتضيات الأمور، وظهرت الحاجة إلى تأطير العمل، فظهر «ائتلاف شباب الثورة» في نهاية الأسبوع الثاني من الثورة، وضم ممثلين لشباب الإخوان و«٦ أبريل»، والعدالة والحرية، وحملة دعم البرادعي، والجمعية الوطنية من أجل التغيير، وحزب الجبهة الديمقراطية، ومجموعة «كلنا خالد سعيد»، ونسّق الائتلاف مواقفه مع المعارضة المؤيدة لاستمرار الثورة حتى سقوط النظام.

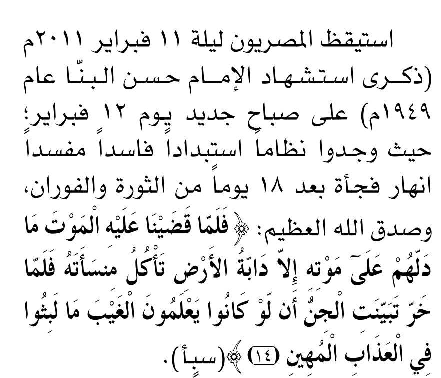
وبعد رحيل «مبارك»، أكد الائتلاف استمرار الثورة السلمية حتى تحقيق مطالبها.. والآن، من المرجَّح أن يعود الشباب كلٌّ إلى الجماعة أو الفصيل الذي جاء منه، وقد يسعى بعضها للاندماج أو تطوير حركته عبر تشكيل حزب سياسي أو أكثر، مع بقاء الائتلاف الجامع بينهم رقيباً على تطورات الأحداث، مستعداً للعودة إلى الشارع إذا لزم الأمر.■

أسقط الشعب النظام، وبدأ عهد جديد.. نمر الآن بمرحلة الانتقال والتحول إلى نظام ديمقراطي نيابي جديد تكون الأمة فيه مصدر السلطات، وليست السلطة فيه فرعونية ولا مؤبّدة.. والانتخابات الحّرة النزيهة هي التي تحقق تداول السلطة بين الأحزاب والقوى السياسية.



بقلم:
د. عصام العريان (*)

مصر بعد «مبارك».. عهد جديد



استيقظ المصريون ليلة ١١ فبراير ٢٠١١م (ذكرى استشهاد الإمام حسن البنّا عام ١٩٤٩م) على صباح جديد يوم ١٢ فبراير؛ حيث وجدوا نظاماً استبداداً فاسداً مفسداً انهار فجأة بعد ١٨ يوماً من الثورة والفوران، وصدق الله العظيم: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤) ﴾(سبأ).

اتفق المصريون جميعاً على هدف واحد وأنجزوه بعون الله تعالى، دون مساعدة من أي قوى أخرى إلا قوة الله التي نفخت فيهم من روح الله، أسقطوا النظام وتمثل ذلك في تنحي «مبارك»، لأول مرة في تاريخ مصر.

وتتباين اليوم آراء المصريين حول المرحلة الانتقالية، وهذا لا يزعج أحداً؛ لأن الهدف النهائي الذي يتفق عليه كل المصريين هو بناء نظام ديمقراطي جديد لا إقصاء فيه لأحد، ولا سيطرة لهيئة أو مؤسّسة أو حزب، الشعب فيه هو الضمان الحقيقي لعدم تكرار ما حدث من قبل، والجيش فيه ضامن لعدم الانقلاب على الدستور كما حدث من «مبارك» وابنه وعصابته التي ظهرت جرائمها الآن للعيان، والرأي العام فيه حر لا تُحجب عنه أي معلومة، والحوار فيه متكافئ بين الجميع في إعلام حر ملك للجميع، والدولة فيه هي دولة القانون والدستور وليست دولة القرار الواحد، والحقوق فيه متساوية بين كل المواطنين في الواجبات.

وفي خضم الاحتفالات الصاخبة التي نشكر فيها الله عز وجل على فضله ونعمته، لا ننسى فيها أمرين:

أولهما: شهداء الثورة وجرحاها، الذين ضحوا بدمائهم فكانت هي ثمن النصر ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾(آل عمران:١٤٠)، هؤلاء يجب علينا أن نتداعى جميعاً لدعم أسرهم، والوفاء لهم وتذكرهم على الدوام.

وثانيهما: التفكير الهادئ والسريع حول المرحلة الانتقالية، واضعين نصب أعيننا الهدف النهائي للوصول إلى بر الأمان، وهو عهد جديد ونظام ديمقراطي حر على أسس متينة راسخة.

شرعية جديدة

لقد اتسم «مبارك» طوال حكمه وعند رحيله بانعدام المسؤولية تماماً، وأراد طوال حكمه وأثناء الثورة وعند تنحّيه أن يُحدث فوضى عارمة يستحق عليها المساءلة.. ظل طوال ٣٠ عاماً لا يعيِّن نائباً للرئيس، ويرفض تحديد مدة حكمه بدورتين، وقال: إنه سيظل معنا إلى آخر نفس يتردد وقلب ينبض.. وحاول طوال السنوات العشر الأخيرة أن يورِّث البلاد لأولاده الواحد بعد الآخر باستماتة شديدة.

وعندما ثار المصريون في ٢٥ يناير ٢٠١١م، نفذ وزير داخليته خطة موضوعة سلفاً لإحداث الفوضى في البلاد؛ بإخراج آلاف المساجين الجنائيين من الزنازين، وتدمير جهاز الشرطة ومقرّاته لتغرق البلاد في العنف والعنف المضاد.. وعندما قرر الرحيل بعد محاولات للالتفاف على مطالب الجماهير، استجدى عطف القادة العسكريين ليبقى إلى آخر رمق في السلطة، فكان خروجه على الدستور ليضع البلاد في مأزق دستوري، ولم يستخدم أي مادة من مواد الدستور القائم، ولم يستجب لطلب المعارضة بإلغاء حالة الطوارئ وحل البرلمان.

لقد اتسم «مبارك» طوال حكمه بانعدام المسؤولية.. وقبل رحيله أحدث فوضى عارمة يستحق عليها المساءلة

رئيس المحكمة الدستورية العليا يمكنه تولي الرئاسة مؤقتاً.. في مرحلة انتقالية يقوم فيها الجيش بإجراءات وتدابير

هنا بدأت الاجتهادات تتوالى بين مسارين، وقد انهارت شرعية النظام بعد تآكلها على مدار عقود وسنوات، وبدأنا نعد البلاد لشرعية جديدة يضعها الشعب.

والسؤال الملح: هل نهمل الدستور القائم تماماً وفق إعلانات دستورية أو دستور مؤقت أو بدون دستور (هذا ما حدث بعد حركة الجيش عام ١٩٥٢م) أم نسترشد بالمبادئ والأسس والمواد الدستورية القائمة في دستور ١٩٧١م، والتي لم يشملها الانقلاب الدستوري عام ٢٠٠٧م؟

نقطة خطيرة

إن القائلين بإهمال الدستور تماماً يتغافلون عن نقطة خطيرة، وهي أن الجيش لم يقم بانقلاب عسكري ليتسلم السلطة، وإنما تسلمها ليدير البلاد في المرحلة الانتقالية وفق القواعد الدستورية ما أمكن ذلك، وعلى القوى السياسية أن تتعاون معه على الانتقال السلمي والسلس إلى الديمقراطية وتعود السلطة إلى الشعب.

ماذا قال الجيش حتى الآن في بياناته الأربعة حتى كتابة هذا المقال؟

في البيان الأول، كان النص واضحاً (انعقد المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم الخميس ١٠ فبراير) تأكيداً وتأييداً لمطالب الشعب المشروعة، كان الانعقاد برئاسة المشير «محمد حسين طنطاوي»، دون حضور الرئيس

(*) عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين

الهدف النهائي الذي يتفق عليه كل المصريين هو بناء نظام ديمقراطي جديد لا إقصاء فيه لأحد

الشرعية القائمة التي يستخدمها الجيش هي صلاحياته في إدارة شؤون البلاد من الرئيس المخلوع

«مبارك»، وباكتمال القادة جميعاً دون غياب لأحد كما يبدو لنا.. وكان هذا اعترافاً بالثورة التي أعلنها الملايين، وأعطى الجيش الرئيس «مبارك» فرصة لمعالجة الأمور.

وفي البيان الثاني (الجمعة ١١ فبراير)، وبعد خطاب الرئيس الذي فوَّض فيه اختصاصاته لنائبه «عمر سليمان» الذي جاء متأخراً كالعادة، أعلن الجيش ضمان تنفيذ تعهدات الرئيس، وانتظر ليرى رد الفعل الشعبي الذي جاء عارماً غاضباً محبطاً، ولم يتعاطف أحد مع «مبارك» كما حدث مع خطابه الأول الذي بددته مجزرة الجمل والحصان يوم الأربعاء الدامي (٢ فبراير)، الذي تصدّى فيه الأبطال الشباب بصدور عارية، وسقط عشرات الشهداء وآلاف الجرحى برصاص القناصة وزجاجات المولوتوف والحجارة.

تعهّد الجيش هذه المرة بالتزامات واضحة، هي:

- إنهاء حالة الطوارئ فور انتهاء الظروف الحالية.
- الفصل في الطعون الانتخابية وما يلي في شأنها من إجراءات.
- إجراء الانتخابات التشريعية.
- الالتزام بالتعديلات التشريعية اللازمة.
- إجراء انتخابات رئاسية حرة ونزيهة وفق التعديلات الدستورية.

كما أكّد الالتزام السابق برعاية مطالب الشعب المشروعة، ومتابعة تنفيذها في التوقيتات المحدّدة حتى يتم الانتقال السلمي للسلطة، وصولاً إلى المجتمع الحر.. وتعهد أيضاً بعدم الملاحقة الأمنية للشرفاء الذين رفضوا الفساد وطالبوا بالإصلاح، وطالب المواطنين بضرورة انتظام العمل بمرافق الدولة.

نحن إذاً أمام مشروع جدول زمني، وترتيب للإجراءات المطلوبة خلال مرحلة الانتقال، وتعهّدات واضحة لبقية المطالب المشروعة اقتصادياً واجتماعياً.

الذي غاب عن هذا البيان، وعلله لعدم حسم الأمور وبسبب بقاء الرئيس وتفويض الاختصاصات لنائبه، هو الموقف من البرلمان المزوَّر بمجلسيه (الشعب والشورى)، وكأن المطلوب هو تصحيح وضع البرلمان فقط دون حله؛ ليقوم بإجراء التعديلات الدستورية وفق البيان الذي أعلن «عمر سليمان»، الذي لم يتخلَّ عن خطته التي تسبق فيها الانتخابات الرئاسية تلك التشريعية، وهو ما يضع البلاد من جديد في قبضة رجل واحد دون مجلس تشريعي منتخب يمثل التيارات كافة.

إلا أن ما يلفت الانتباه أيضاً ذلك الترتيب الزمني الذي يمهد لما بعده من بيانات وإجراءات، وهو تقديم الانتخابات التشريعية على تلك الرئاسية، وهو ما يوحى بأن الجيش (المجلس الأعلى للقوات المسلحة) لديه خبراء وفقهاء دستوريون يقدمون له البدائل لمرحلة الانتقال الديمقراطي.

وكذلك، جاء الحديث عن التعديلات التشريعية بعد إجراء الانتخابات التشريعية ليقوم بها برلمان حر منتخب، وليس برلماناً مزوراً يبصم ويوافق مكرهاً على ما يقدمه له المسك بمقاليد السلطة (كما كانت الحال من قبل).

الانفجار الكبير

انتظر الجيش رد فعل الشعب على خطاب الرئيس، وظل على ولائه للشرعية الدستورية التي تجعل رئيس البلاد ونائبه في السلطة رغم أنف الشعب.

هنا جاء انفجار الملايين الكبير في يوم الجمعة الأخير (جمعة التحدي)، وظهر واضحاً للعيان أن الرئيس ونائبه لم يعد لهما مكان، بعد أن أحبط الرئيس ونائبه آمال الشعب في تحقيق الأهداف العظيمة، وكأن المطلوب من وجهة نظرهما فقط إصلاحات جزئية تسكّن الأوضاع، وأن الشعب سينسى بعد حين.

وهنا، جاء البيان الثالث (الجمعة ١١ فبراير)، بعد أن رضخ «مبارك»، وأعلن نائبه «عمر سليمان» خبر تنحّيه وتكليفه للمجلس الأعلى للقوات المسلحة بإدارة شؤون البلاد دون استناد إلى المواد المعروفة سلفاً، وهي (٧٤) أو (٨٢) أو (٨٤).



وكان بيان الجيش مقتضباً، إلا أن أهم ما يلفت الانتباه فيه التالي:

- جسامة التكليف وخطورته أمام المطالب الشعبية.
- التغييرات المطلوبة جذرية.
- أن المجلس يتدارس الأمر، وسيُصدر فيما بعد بيانات تحدد الخطوات والإجراءات والتدابير.
- والأهم والأخطر: أنه ليس بديلاً عن الشرعية التي يرتضيها الشعب.
- تحية وتقدير للرئيس، تحمل معنى ضمان سلامته الشخصية وعدم ملاحقته.
- تحية أكبر وأعظم لشهداء الثورة، ومعها تحية عسكرية تحمل دلالات خطيرة ومهمة.

في خضم الاحتفالات الصاخبة ينبغي ألا ننسى شهداء الثورة وجرحاها الذين ضحّوا بدمائهم فكانت هي ثمن النصر



خطوات ضرورية

والسؤال: ما الأساس الدستوري الذي استند إليه المجلس الأعلى للقوات المسلحة؛ لأنه لم يقم بانقلاب لتسليم السلطة، ولكن تم استدعاؤه في لحظة وصفها بالتاريخية الفارقة؟

إن القوات المسلحة يحدد الدستور مهامها في المادتين (١٨٠) و(١٨٢).

تقول المادة (١٨٠): إن «الدولة وحدها هي التي تُنشئ القوات المسلحة، وهي ملك للشعب مهمتها حماية البلاد وسلامة أراضيها وأمنها» (الفقرة الأولى).

وتقول المادة (١٨٢): «ينشأ مجلس يُسمى «مجلس الدفاع الوطني»، يتولى رئيس الجمهورية رئاسته، ويختص بالنظر في الشؤون الخاصة بوسائل تأمين البلاد وسلامتها» (الفقرتان الأولى الثانية).

وهنا نعتقد أن الجيش أمام خطوات وإجراءات وتدابير لابد من الاسترشاد بالدستور القائم للعمل بها، وإلا حدث فراغ دستوري، ونكون أمام انقلاب عسكري لم يقم به الجيش ولا يرغب في القيام به.

وقد قال ذلك البيان بوضوح: إنه ليس بديلاً عن الشرعية التي يرتضيها الشعب، وبذلك فإن الشرعية القائمة التي يستخدمها الجيش هي صلاحياته في إدارة شؤون البلاد من الرئيس المخلوع، في غياب نائب الرئيس الذي لم يعد له وجود شرعي في ظل بطلان انتخابات مجلس الشعب (البرلمان)، الذي صدرت بحقه أحكام وصمته بالبطلان والانعدام، فليس هناك رئيس للمجلس يتولى الرئاسة مؤقتاً.. ويبقى اختيار وحيد - وفق نص المادة (٨٤) - أن يتولى رئيس المحكمة الدستورية العليا الرئاسة المؤقتة للبلاد في مرحلة انتقالية يتم فيها خطوات وإجراءات وتدابير يقوم بها الجيش نفسه.

تطورات مهمّة

وجاء البيان الرابع (١٢ فبراير)، وأكدّ فيه الجيش على:

(١) إعادة ترتيب أولويات الدولة على نحو يحقق المطالب المشروعة.

وهنا نلحظ المرونة في التعبير، فالتقديم والتأخير إذا كان لمصلحة الشعب فلا يضر، وذلك لرفع التعارض بين الوارد بالبيان رقم (٢) الذي كان للتعهد بتنفيذ خطة الرئيس ونائبه؛ حيث أكدّ البيان على الالتزام بما جاء في البيانات السابقة، وقد نشأ وضع جديد يحتاج إلى مرونة.

(٢) سيادة القانون ليست مجرد ضمانة لحرية الفرد، ولكنها الأساس الوحيد (لاحظ الوحيد) لمشروعية السلطة.

وهذا يعني عدّة أمور، من بينها:

- الالتزام بنصوص الدستور التي تحدد ترتيب أولويات من يتولى سلطة البلاد.
- الالتزام بأحكام القضاء التي قضت ببطلان وانعدام البرلمان الحالي بمجلسيه.

ومفاد ذلك أن يتولى رئيس المحكمة الدستورية العليا مسؤولية البلاد.

(٣) الشعب عليه أن يتحمل مسؤوليته لدفع عملية الاقتصاد إلى الأمام مقابل تعهد الجيش بنقل السلطة إليه.

(٤) تغيير صفة الحكومة إلى «حكومة تسيير أعمال»؛ بمعنى إقالة ضمنية للحكومة وانتهاء مشروعيتها لحين اختيار حكومة جديدة.

(٥) التطلع لضمان الانتقال السلمي للسلطة، وحدّد ملامح النظام الجديد في: نظام ديمقراطي حر.. سلطة مدنية (ليس هناك انقلاب عسكري) منتخَبة للحكم (انتخابات حرة).

(٦) الالتزام بكافة الالتزامات والمعاهدات الإقليمية والدولية؛ عملاً بمبدأ قانوني دولي مستقر هو الوفاء بالمعاهدات رغم تغيير الحكومات.

(٧) العودة إلى شعار «الشرطة في خدمة الشعب»، بما يعني تغيير دور جهاز الشرطة في العهد الجديد.

نحن أمام تطورات مهمة وخطيرة، وأؤكد ضرورة أن تلتفت قوى المعارضة والنخبة، ومعها الشباب الثائر، إلى دقة الألفاظ وما تحمله من دلالات، وإلى أهمية أن يتوحد الشعب خلف مطالبه المشروعة لضمان تنفيذها في جدول زمني محدد لابد أن يأتي في بيانات قادمة.

كل التحية للشعب العظيم الذي ثار، وللجيش العظيم الذي حرس الثورة حتى الآن.■

الإخوان المسلمون.. ومنهج التغيير

لا يختلف اثنان من المهمومين بالشأن العام في مصر اليوم على ضرورة وأهمية إحداث تغيير يتلاءم مع حجم تلك الثورة المباركة.. وهذه محاولة لوضع بعض النقاط على الحروف، فيما يتعلق بما وصلت إليه مصر في العهد السابق.

يقول الإخوان منذ عام ١٩٣٤م: «يعتقد الإخوان المسلمون أن الله تبارك وتعالى حين أنزل القرآن وأمر عباده أن يتبعوا محمداً ﷺ ورضي لهم الإسلام ديناً، وضع في هذا الدين القويم كل الأصول اللازمة لحياة الأمم ونهضتها وأبعادها».

«وهم يطالبون الناس بأن يعملوا على أن تكون قواعد الإسلام هي الأصول التي يبنى عليها نهضة الشرق الحديث في كل شأن من شؤون الحياة، ويعتقدون أن كل مظهر من مظاهر النهضة الحديثة يتنافى مع الإسلام ويصطدم بأحكام القرآن، فهو تجربة فاشلة قاسية ستخرج منها الأمة بتضحيات كبيرة من غير فائدة، والأمم التي تريد النهوض تسلك إليه أخصر الطريق باتباعها أحكام الإسلام»، ويعتقد الإخوان المسلمون أن الطريق إلى تحقيق ذلك التغيير، وبناء تلك النهضة، يبدأ بتكوين النفوس، وتقوية الأرواح، وامتلاك الإرادة القوية.

ويقول الإخوان منذ ذلك التاريخ: «إن هذه الفريضة تحتاج منكم نفوساً مؤمنة وقلوباً سليمة، فاعملوا على تقوية إيمانكم وسلامة صدوركم، وتحتاج منكم تضحية بالمال والجهود فاستعدوا لذلك».

ويقول الإمام حسن البنا ـ يرحمه الله: «إن تكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال، ومناصرة المبادئ تحتاج من الأمة التي تحاول ذلك أو من الفئة التي تدعو إليه على الأقل قوة نفسية عظيمة، تتمثل في عدة أمور: إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلوّن ولا غدر، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل، ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له، يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره.

على هذه الأركان الأولية التي هي من خصائص النفوس وحدها، وعلى هذه القوة الروحية الهائلة تبنى المبادئ وتتربى الأمم الناهضة، وتتكون الشعوب الفتية، وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمناً طويلاً.

وكل شعب فقد هذه الصفات الأربع، أو على الأقل فقدها قواده ودعاة الإصلاح فيه، فهو شعب عابث مسكين لا يصل إلى خير ولا يحقق أملاً.

هذا القانون هو قانون الله تعالى وسنته في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(الرعد: ١١)» (رسالة إلى أي شيء ندعو الناس).

هذه هي عقيدة الإخوان المسلمين، وهذا هو منهجهم السلمي للتغيير.. وهم ينشرون فكرتهم ويسعون لإقناع الناس بها عبر الحوار والجدال بالحسنى. وهم يعملون على تغيير نفوسهم واكتساب تلك الصفات النفسية من الإرادة والوفاء والمعرفة، ويقدمون التضحيات تلو التضحيات في سبيل فكرتهم.

ويدركون أن إصلاح المجتمع ونشر الحريات العامة فيه، وتأسيس نظام حكم دستوري نيابي سليم يتيح المجال لكل الأفكار أن تنفتح وتتحاور حتى تقتنع الأغلبية بصواب أي منهج، بما فيه منهج الإخوان، هذا هو السبيل الوحيد لتطبيق فكرتهم في المجتمع.

وهم يعتقدون أن السلطة وحدها دون تأييد الناس لها مهما اكتسبت من مصداقية، وكان لها من القوة لن تستطيع أن تحدث التغيير الحقيقي، ولن تقدر على إقامة النهضة المرجوة على أساس الإسلام العظيم، خاصة في مواجهة التحديات المحلية والإقليمية والدولية.

لذلك لا يسعى الإخوان إلى السلطة ولا يتعجلون الوصول إليها، بل يعملون على إصلاح الحكومة وقيام نظام سياسي يطلق الحريات العامة، ويمنع الاستبداد، ويحارب الفساد، ويحقق العدالة الاجتماعية، ويتيح للمجتمع وقواه الحية العمل الأهلي الذي يصلح النفوس ويحقق الآمال، ويجمع الحشود الشعبية لمناصرة المبادئ والأفكار، وهم على اقتناع تام بأن فكرة الإسلام هي أقوى الفكر في مصر والبلاد الإسلامية، وهي قادرة على اكتساب المزيد من الأنصار مع مرور الوقت، والوقت جزء من العلاج.

ويقول بعد ذلك: «إن الإسلام إنما يضع القواعد الكلية في كل شأن من هذه الشؤون «الدنيوية البحتة»، ويرشد الناس إلى الطريق العملية للتطبيق عليها والسير في حدودها» (رسالة المؤتمر الخامس).

لذلك يؤمن الإخوان أن الأمة هي مصدر السلطات، وأن المؤسسات الدستورية هي المخولة بالاختيار بين النظم والآراء المختلفة والمتنوعة في إطار الدستور، الذي يقرر أن الدين الرسمي هو الإسلام، وأن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع، فلا يجوز للمؤسسات الدستورية مخالفة أحكام الإسلام، وعلى المحكمة الدستورية العليا أن تراجع أي تشريع أو قرار أو نظام لا يتفق مع هذه النصوص الدستورية التي أجمعت عليها الأمة.

التزاماً بهذا المنهج في التغيير فإن الإخوان المسلمين لا يلجؤون أبداً إلى القوة أو العنف لنشر فكرتهم أو تطبيقها، بل وسيلتهم الوحيدة هي نشر الفكرة عبر الإقناع الحر، والتزاماً بهذا المنهج فإن الإخوان يتعاونون مع كل القوى السياسية للوقوف ضد الاستبداد ومحاربة الفساد السياسي والاجتماعي.

والتزاماً بهذا المنهج فإن الإخوان يشاركون كأفراد وهيئة في الحياة العامة على كل المستويات الطلابية والنقابية والبرلمانية وفي الجمعيات الأهلية والهيئات المحلية، وكانت ذروة مشاركتهم في ثورة ٢٥ يناير.

إن أخطر ما واجه الأمة في ظل النظام السابق هو تحالف الاستبداد والفساد الذي بات يهدد نسيج المجتمع المصري، وعاق أي محاولة للإصلاح، ووقف ضد كل الأفكار التجديدية، وهدد المصالح القومية المصرية العليا، برهن مصر لمشروع «صهيو ـ أمريكي» لا يخفي محاربته للإسلام نفسه.■



لندن: د. أحمد عيسى

أعلن الاتحاد الأوروبي تجميد أرصدة ٤٦ من أعوان الرئيس التونسي السابق «زين العابدين بن علي» وزوجته؛ حيث استجاب المجتمع الدولي بسرعة لطلب الحكومة التونسية الجديدة منعَ شخصيات تونسية من الفرار بالأموال المتحصلة بطرق غير مشروعة خارج تونس.. فهل تستطيع «الثورة الشعبية» في مصر التحرّك الاستباقي لمنع تهريب أموال مصرية جديدة من قِبَل الرئيس السابق «حسني مبارك» وأسرته والنخبة الحاكمة والوزراء السابقين ورجال الأعمال غير الشرفاء؟ وهل تستطيع أي حكومة جديدة إعادة الأموال المنهوبة والمهرَّبة إلى مالكها الحقيقي وهو شعب مصر الذي تعيش شريحة كبيرة منه في براثن الفقر؟



سقط.. فمن يلتقط أمواله؟!

«جارديان»: ثروة «مبارك» وأسرته تتراوح بين ٤٠ و٧٠ مليار دولار

أعلن حقوقيون مصريون تشكيل مجموعة قانونية لاسترداد الثروات التي نهبها نظام «مبارك» المخلوع، وأفادت تقارير صحفية بأن عدداً من الشخصيات العامة والسياسية المصرية، من بينهم زعماء أحزاب وأعضاء برلمان سابقون ومثقفون، تقدّمت ببلاغ إلى النائب العام يطلبون فيه التحقيق في ثروة الرئيس السابق «مبارك» وعائلته، التي قالوا: إنها جاءت عن طريق استغلال السلطات والتربّح.

وذكرت صحيفة «الدستور» المصرية أن ٤٨ شخصية اتهمت في طلبها للنائب العام «مبارك» ولديْه «علاء» و«جمال» وزوجته «سوزان» بالحصول على مئات الملايين من الدولارات من الأموال العامة المصرية، والاشتراك في صفقات استثمارية بحكم سلطاتهم، وتحويلها إلى حسابات سرية في بنوك خارجية، أو استثمارها في أصول وفنادق.

وطالب المتقدمون بالبلاغ - الذي حمل رقم ١٨١ للعام ٢٠١١م - النائبَ العام بإصدار قرار بالتحقق من المعلومات الواردة بالبلاغ حول ثروات المشكو في حقهم، والتحقيق معهم فيما هو منسوب إليهم، وكذلك اتخاذ إجراء بمنعهم من السفر كإجراء تحفظي، وتجميد ما لهم من أرصدة داخل البنوك المصرية، واسترداد ما ثبت تهريبه إلى الخارج.

٤٨ شخصية عامة تقدّمت ببلاغ إلى النائب العام للتحقيق في ثروة «الرئيس المخلوع».. وقالوا: إنها جاءت عن طريق استغلال السلطات والتربّح

وقال المتحدث باسم الخارجية السويسرية «لارس نوتشيل»: «يمكنني أن أؤكد أن سويسرا جمدت أرصدة الرئيس المصري السابق بأثر فوري»، دون أن يحدد حجم الأموال التي ربما يكون «مبارك» أودعها في البنوك السويسرية.

وقبل هذا الإعلان، كانت جمعية «الحقوق للجميع» السويسرية قد أكدت أن الادعاء العام السويسري قد قَبِل بحث تجميد أرصدة «مبارك» وأفراد عائلته، ويبحث تجميد أرصدة نحو عشرين شخصية أخرى



GLOBAL FINANCIAL INTEGRITY

A PROGRAM OF THE CENTER FOR INTERNATIONAL POLICY

Home | About Us | Newsroom | Resources | Task Force | Links | Donate | Share

Home ▸ Newsroom ▸ Press Releases ▸ Egypt Lost $57.2 Billion from 2000-2008

Egypt Lost $57.2 Billion from 2000-2008

Illicit capital flight from Middle East and North Africa (MENA) region outpacing rest of developing world regions

January 26, 2011
Monique Perry Danziger, +1 202-293-0740

WASHINGTON, DC – Egypt is losing more than US$6 billion per year—US$57.2 billion in total from 2000 to 2008— to illicit financial activities and official government corruption, writes Global Financial Integrity (GFI) economist, Karly Curcio, in a new weblog published today at www.financialtaskforce.org. The piece "Egypt too? There Goes the Neighborhood" uses numbers from GFI's recently released report, "Illicit Financial Flows from Developing Countries: 2000-2009." The report, authored by GFI Lead Economist Dev Kar and Ms. Curcio, lists illicit capital flight numbers for all developing countries from 2000-2008, including Egypt.

من مسؤولي الحكومة المصرية والحزب الحاكم سابقاً، إضافة إلى قيادات ورجال أعمال مرتبطين بالنظام البائد.

في بريطانيا

وحسب جريدة «الأهرام» المصرية (عدد ٦ فبراير)، فقد أبدت الحكومة البريطانية استعدادها للنظر في أي طلبات رسمية مصرية بمنع هروب أي مسؤول متهم بالفساد المالي إلى بريطانيا.. وكان النائب «أندي سلوتير» عضو حزب العمال المعارض قد قال: إن «الجالية المصرية في دائرته الانتخابية طلبوا منه إثارة الموضوع في البرلمان»، وقال وزير الدولة البريطاني: إن «ما طُرح نقطة مثيرة للاهتمام»، وقد طُرحت خلال الأزمة التونسية.

وكان اتحاد المصريين في بريطانيا قد أعلن أنه أبلغ «سلوتير» بأن احتمال هروب شخصيات متهمة بالفساد بأموال الشعب المصري إلى بريطانيا يثير قلق الجالية المصرية.. ولعل أحد مشاغل النظام المصري الكبرى الآن هو تأمين هذه الثروة من الملاحقة والمصادرة.

عدم السلامة المالية

أكد تقرير صدر في ٢٦ يناير ٢٠١١م من هيئة سلامة النظام المالي العالمي Global Financial Integrity أن مصر خسرت بسبب الفساد وتهريب الأموال للخارج نحو ٥٧,٢ مليار دولار في الفترة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٨م، وذلك بواقع ستة مليارات دولار في السنة[1].

تقرير عالمي: مصر خسرت ٥٧,٢ مليار دولار في الفترة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٨م بسبب الفساد وتهريب الأموال

المخابرات الأمريكية: ديون مصر الخارجية ٣٠,٦ مليار دولار.. وأسرة «مبارك» تملك أكثر من ضعف هذه الديون!

وأوضح التقرير أن الكثير من هذه الأموال جاء من التهرب الضريبي للأفراد، إضافة إلى الفساد والجريمة.. وقال معد التقرير «ديف كار»: إن «ضَعْف الحكومة بمصر سمح بتفشي الرشاوى والسرقات والجرائم والتهرب الضريبي؛ مما دفع مليارات الدولارات خارج البلاد كل عام». وأضاف: إن «الخسائر السنوية للأموال - التي أعاقت بشكل كبير قدرة الحكومة على تنشيط تنمية اقتصادية وتخفيف مستويات الفقر - جعلت نظام «مبارك» غير محتمل، حيث دفع مصر إلى حالتها الراهنة من عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي».

غياب الشفافية

وأكد «د. صلاح جودة» مدير مركز الدراسات الاقتصادية أنه «في الفترة من عام ١٩٩٠م حتى الآن - التي يُطلق عليها فترة الإصلاح الاقتصادي والمالي - قام مجموعة من رجال الأعمال بتهريب أموالهم للخارج»، وأضاف: إن «من أبرز الطرق في تهريب الأموال للخارج صندوق دعم الصادرات الذي يتبع وزارة التجارة والصناعة؛ حيث يقوم أعداد من مصلحة الجمارك والضرائب ورجال الأعمال بتصدير أشياء وهمية، وفي المقابل يحصل صندوق دعم الصادرات على ٥,٢ مليار جنيه».

وتساءل جودة: «إذا كانت نسبة الدعم ٢٪ من الصادرات، فكم يكون حجم هذه الأموال التي يتم تهريبها؟».

وحول الأسباب التي أدت إلى تزايد تهريب الأموال للخارج، قال: إن «رجال الأعمال دائماً يبحثون عن الأماكن الأكثر أماناً، وبالنسبة لمصر فرجال الأعمال يرونها ليست آمنة، ففي فترة رئيس الحكومة الأسبق «عاطف عبيد» تم تحويل أكثر من ١٧٠ رجل أعمال للمحاكمة، منهم من دخل السجن، ومنهم من هرب.. لذلك كانت هذه الفترة الأسوأ في تاريخ الاقتصاد منذ ثورة يوليو».

ويقول الخبير الاقتصادي د. حمدي عبدالعظيم: إن «السبب الرئيس في تهريب الأموال خارج مصر هو الفساد الإداري في بعض الأجهزة الحكومية، وعدم اهتمامها بمحاسبة المسؤولين وتقارير الجهاز المركزي للمحاسبات ومجلس الشعب»، مؤكداً غياب الشفافية والوضوح، والحصول على المليارات من البنوك دون أي ضمانات[2].

الوزراء المتهمون

تواترت المعلومات بأن ثروة أمين التنظيم السابق بالحزب الوطني «أحمد عز» تبلغ ١٨ مليار جنيه مصري (ثلاثة مليارات دولار)، ووفق التقديرات، بلغت حسابات وزير الإسكان السابق «أحمد المغربي» عشرة مليارات جنيه (١,٧ مليار دولار)، ووزير السياحة السابق «زهير جرانة» ١٣ مليار جنيه (٢,٢ مليار دولار)، أما وزير التجارة السابق «رشيد محمد رشيد» فتُقدَّر ثروته بـ١٢ مليار جنيه (مليارا دولار)، بينما تُقدَّر ثروة وزير الداخلية السابق «حبيب العادلي» بثمانية مليارات جنيه (١,٤ مليار دولار).

وقد قرّرت محكمة جنايات شمال القاهرة تأييد قرار النائب العام بمنعهم من التصرف في أرصدتهم الشخصية، وأعد «محمد الدميري» أحد المحامين بالإسكندرية بلاغاً يتقدم به إلى المحامي العام الأول بالإسكندرية حول أملاك رئيس الحكومة السابق «د. أحمد نظيف» بالإسكندرية .

ذكرت صحيفة «الجارديان» البريطانية

يوم ٤ فبراير ٢٠١١ الجاري[٣] أن التفاصيل المتعلقة بتراكم ثروة «مبارك» وعائلته، وكذلك وجهتها الأخيرة، لا تزال «غامضة»، لكن الصحيفة ذكرت - وفقاً لتحليل خبراء في الشرق الأوسط - أن ثروة الرئيس المصري السابق «حسني مبارك» وعائلته تتراوح بين ٤٠ و٧٠ مليار دولار. وقالت: إن هذه الثروة موزعة ما بين أرصدة في بنوك سويسرية وبريطانية، وعقارات في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ومصر.

وبحسب الصحيفة، فإنه «خلال ثلاثين عاماً، بوصفه رئيساً للجمهورية ومسؤولاً عسكرياً رفيعاً، استطاع «مبارك» الحصول على أرباح تُقدَّر بملايين الدولارات من خلال صفقات الاستثمار، معظمها تم إخراجها من البلاد ووضعها في حسابات سرية ببنوك سويسرية وبريطانية، مثل بنك «يو بي أس» السويسري وبنك «سكوتلاند» البريطاني، واستثمر بعضها في منازل وفنادق».

عمولات وصفقات

ونقلت الصحيفة البريطانية عن الخبير في سياسات الشرق الأوسط البروفيسور «كريستوفر ديفدسون» من جامعة «دورهام» البريطانية، أن «مبارك» وزوجته وابنيه تمكنوا من جمع ثروتهم عبر شراكات في مجال الأعمال مع مستثمرين أجانب وشركات يعود تاريخها إلى وقت خدمته في الجيش، وفي وضع يمكنها من الاستفادة من الفساد المتبادل.

وقال: إن «كل مشروع تقريباً يحتاج إلى رعاية أو «كفيل»، و«مبارك» كان في وضع مناسب للاستفادة من أي صفقات معروضة».

وأضاف: إنه «في معظم دول الخليج، فإن الشريك التجاري المحلي (الراعي أو الكفيل) له حصة نسبتها ٥١٪ من أي مشروع، أما في مصر فإن هذا الرقم هو أقرب عادة إلى ٢٠٪، ولكن لا يزال يعطي السياسيين والحلفاء المقربين في الجيش مصدراً ضخماً للأرباح مع عدم وجود أي مصاريف أولية أو أخطار كبيرة».

وذكرت الصحيفة أن ثروة «مبارك» الشخصية تبلغ «١٥ مليار دولار»، أغلبها - كما تقول - من «عمولات في صفقات سلاح، وصفقات عقارية»، مشيرة إلى أن «ثروة «مبارك» بلغت منذ عشر سنوات نحو عشرة مليارات دولار، أغلبها أموال سائلة في بنوك أمريكية وسويسرية وبريطانية؛ مثل بنك سكوتلاند، وبنك كريديت سويس».

وتؤكد مصادر الصحيفة أن «جمال مبارك»، الذي كان الأمين العام المساعد للحزب الوطني الحاكم في مصر، يملك وحده «ثروة تُقدَّر بـ١٧ مليار دولار، موزعة على عدة مؤسسات مصرفية في سويسرا وألمانيا والولايات المتحدة وبريطانيا».

ووفق المصادر، فإن «جمال يملك حساباً جارياً سرياً في كل من بنك «يو بي أس» وبنك «آي سي أم»، وتتوزع ثروته عبر صناديق استثمارية عديدة في الولايات المتحدة وبريطانيا، منها مؤسسة «بريستول آند ويست» العقارية البريطانية، ومؤسسة «فاينانشال داتا سيرفس»، التي تدير صناديق الاستثمار المشترك»، وله عقار فخم في لندن في «ويلتون بليس».

نادي المليارديرات

أما «سوزان مبارك»، فتقول الصحيفة نقلاً عن «تقرير سري تداولته جهات أجنبية عليا»: إنها «دخلت نادي المليارديرات منذ عام ٢٠٠٠م، وتتراوح ثروتها بين ٣ و٥ مليارات دولار معظمها في بنوك أمريكية، إلى جانب عقارات في عدة عواصم ومدن أوروبية مثل لندن وفرانكفورت ومدريد وباريس إضافة إلى دبي».

وتشير الصحيفة إلى أن قيمة ممتلكات «علاء مبارك» وأمواله الشخصية داخل وخارج مصر تُقدَّر بنحو ٨ مليارات دولار، منها عقارات تعدت قيمتها الملياري دولار في شارع «روديو درايف» بمدينة «لوس أنجلوس» الأمريكية؛ أحد أرقى شوارع العالم، وفي ضاحية «مانهاتن» في «نيويورك»، بالإضافة إلى امتلاكه طائرتين شخصيتين ويخت ملكي تفوق قيمته ٦٠ مليون يورو.

وقال «علاء الدين الأعسر» مؤلف كتاب «مبارك والمصير المجهول لمصر في عصر أوباما»: «إن «مبارك» يمتلك مساكن عدة في

ثروات بعض أفراد عصابة النظام البائد:

«أحمد عز» ١٨ مليار جنيه مصري (ثلاثة مليارات دولار)
«زهير جرانة» ١٣ مليار جنيه (٢,٢ مليار دولار)
«رشيد محمد رشيد» ١٢ مليار جنيه (مليارا دولار)
«أحمد المغربي» عشرة مليارات جنيه (١,٧ مليار دولار)
«حبيب العادلي» ثمانية مليارات جنيه (١,٤ مليار دولار)


عاطف عبيد


أحمد عز

فترة رئيس الحكومة الأسبق «عاطف عبيد» الأسوأ في تاريخ الاقتصاد منذ يوليو ١٩٥٢م.. وتم فيها تحويل أكثر من ١٧٠ رجل أعمال للمحاكمة

لندن أبدت استعدادها للنظر في أي طلبات رسمية مصرية بمنع هروب أي مسؤول متهم بالفساد المالي إلى بريطانيا



سويسرا جمّدت أي أرصدة محتملة لـ «مبارك» بأثر فوري دون تحديد حجم الأموال التي ربما يكون أودعها في بنوكها

مصر، بعضها موروث من الرؤساء السابقين والنظام الملكي، وبعضها امتلكه.. كما أن هناك فنادق وأراضي محيطة بمنتجع شرم الشيخ السياحي هي أيضاً مصدر لثروة عائلة مبارك».

وقالت «أماني جمال» أستاذ العلوم السياسة في جامعة «برنستون» الأمريكية: إن «ثروة عائلة «مبارك» تتراوح بين ٤٠ و٧٠ مليار دولار أمريكي»، وأوضحت في مداخلة مع تلفزيون «ABC» الأمريكي[٤] أن «المشاريع التجارية التي جناها خلال خدمته في الحقلين العسكري والمدني تُضاف إلى ثروته الشخصية».

وأضافت: إن «هناك الكثير من الفساد في نظام حكمه، فضلاً عن استغلال الموارد العامة للبلاد لتحقيق مكاسب شخصية، وهذا نموذج آخر لأنظمة دكتاتورية في بلدان الشرق الأوسط، ممن لا يمكن السيطرة على أموالهم في المراحل الانتقالية للبلاد، وهؤلاء القادة يخططون في هذا الاتجاه، من خلال تحويل أموالهم إلى بنوك خارجية».

وأقول: إن هذه كلها تقديرات، والحسابات الخاصة في سويسرا كلها سرية، والآن وقد سقط النظام فستظهر حتماً بعض الحقائق من خلال التحقيقات سواء داخل مصر أو خارجها.. وإذا كانت هذه الأرقام صحيحة، فإنها أرقام هائلة بالنسبة لمصر، فحسب كتاب المخابرات الأمريكية لعام ٢٠١٠م، فإن ديون مصر الخارجية تُقدَّر بحوالي ٣٠,٦ مليار دولار[٥]، أي أن أسرة «مبارك» تملك ضعف هذه الديون!

البليونير ابن الفلاح

لعل المصدر الأولي لهذه الأرقام هو ما ذكرته صحيفة «الخبر اليومي» الجزائرية منذ أربعة أشهر، أن مصادر عليمة جداً كشفت لها أن أفراد أسرة «مبارك» يملكون أكثر من ٤٠ مليار دولار كعقارات وأصول في بنوك ومؤسسات استثمارية أمريكية وبنوك سويسرية وبريطانية.

وبخصوص ما أسمته «ابن الفلاح المصري» «مبارك»، فقد بلغت قيمة ثروته الشخصية عام ٢٠١٠م ما لا يقل عن ١٥ مليار دولار، أغلبها من عمولات في صفقات سلاح وصفقات عقارية في القاهرة ومناطق الاستثمار السياحي في الغردقة وشرم الشيخ.

وقالت: إن «صحفاً ومواقع إلكترونية مصرية تتحدث على حصول «آل مبارك» على نسب من صافي أرباح مؤسسات وشركات كبرى سمّت بعضها، ولكن لم تثبت الصحيفة أدلة على ذلك».

ليس بمستغرب أن يكون الحكم المصري في عهد «مبارك» من النظم الفاسدة؛ حيث يحتل عالمياً المركز ٩٨ بين ١٧٨ دولة (المركز الأول الأكثر شفافية، والأخير الأكثر فساداً) وليس بعد مصر في الترتيب من الدول العربية سوى الجزائر ولبنان وسورية وليبيا واليمن والعراق[٦]! ذلك مع غياب الدور الرقابي للحكومة على تحويلات الأموال للخارج، ولكن الطامة الكبرى هي أن «الرئيس» نفسه وأفراد أسرته هم الذين كانوا يأكلون أموال الشعب بالباطل ويهربونها إلى خارج البلاد.

أين هؤلاء من هؤلاء؟

لقد تولى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه الأمر بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأخذ الأمناء الثقات من الصحابة، وفتحوا بيت المال ليروا ماذا أبقى لهم أبو بكر، فلم يجدوا في بيت المال ديناراً ولا درهما.. كان الصديق رضي الله عنه يقوم بالأمانة على وجهها، ويتقي الله جل وعلا في أموال المسلمين.

وكانت سياسة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تقوم على عدم ادِّخار الأموال في بيت المال للنوائب؛ بل كان يجري توزيعها لمستحقيها أولاً بأول، فيذكر ابن الجوزي أن عمر رضي الله عنه «كان يأمر بكسح بيت المال مرة في السنة»، أي أنه كان يُفرغ بيت المال مما فيه؛ لتوزيعه على مستحقيه كل عام.

ولا غرو أن هذا العمل من الأعمال الجليلة التي قامت بها الحضارة الإسلامية؛ فقد حرصت مؤسسة الخلافة منذ فترة مبكرة على إشراك الرعية في أخذ أنصبتها التي قسمتها الدولة فيما بينهم، في وقت معلوم من كل عام دون تأخير أو تلكؤ، وذاك نوع من أنواع التكافل والنظام الممنهج بين الراعي والرعية.

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يُقسِّم أموال بيت المال كل جمعة؛ «حتى لا يُبقي فيه شيئاً»، خوفاً من فتنة المال على الراعي والرعية، ولذلك دخل بيت المال ذات مرة فوجد الذهب والفضة، فقال: «يا صفراء اصفري، ويا بيضاء ابيضي، وغُرِّي غيري، لا حاجة لي فيك»[٧].■

الهوامش

(1) Egypt Lost $57.2 Billion from 20002008-
Global Financial Integrity- January 26, 2011
http://www.gfip.org/index.php?option=content&task=view&id=366

(٢) مصر تخسر ٢٠ مليار دولار سنوياً بسبب تهريب الأموال للخارج، جريدة «صوت البلد»، ١ أكتوبر٢٠١٠م.

(3) Mubarak family fortune could reach $70bn, say experts
The Guardian- 4 February 2011

(4) Egypt>s Mubarak Likely to Retain Vast Wealth- 2 February 2011
http://abcnews.go.com/Business/egypt-mubarak-family-accumulated-wealth-days-military/story?id=12821073

(5) https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/eg.html

(6) Corruption index 2010 from Transparency International
The Guardian, 26 October 2010

(٧) بيت المال في عهد النبي والخلفاء الراشدين، د. راغب السرجاني.
www.islamstory.com



أصدرت منظمة «جلوبال ويتنس»(١) في عام ٢٠٠٩م تقريراً خاصاً، كشفت فيه تواطؤ البنوك الدولية مع أنظمة الحكم الفاسدة على سلب ثروات شعوب الدول الفقيرة.. وقد نشرت المنظمة هذا التقرير بغرض إثارة الانتباه إلى خطورة هذه القضية، وضرورة فتح باب النقاش حولها؛ حتى تحقق الشعوب الفقيرة لنفسها تنمية حقيقية.

حقيقة تواطؤ المصارف الدولية مع أنظمة الحكم الفاسدة



الثروات التي ينهبها الحكام الفاسدون كافية لرفع شعوب بلادهم فوق حد الفقر وتجنيبهم البؤس والمعاناة

د. أحمد إبراهيم خضر (*)

يقول «جافين هايمان» مدير حملة المنظمة: إن «المصارف الدولية تعمل على تدعيم الفساد في معظم البلاد ذات النظم الهشة والفاسدة، وهذا العمل الشائن المتسم بالجشع يضع الاقتصاد العالمي كله في خطر.. وقد أدى تراخي القوانين المصرفية إلى جعل هذه المصارف مسؤولة عن الأزمة الاقتصادية العالمية، وسهّل عملية سلب المصادر الطبيعية لصالح رؤساء دول وسياسيين فاسدين..

(*) دكتوراه في علم الاجتماع العسكري - أستاذ مشارك في جامعات عربية وإسلامية

وعلى الحكومات أن تضطلع بمسؤولياتها لكي تضع حداً للتحالف بين المصارف وهؤلاء الساسة الفاسدين وعائلاتهم».

وقد كانت أهم محتويات هذا التقرير ما يلي:

أولاً: عرف العالم خلال عامي ٢٠٠٨ و٢٠٠٩م أسوأ أزمة اقتصادية منذ عدة عقود مضت، وعرف أيضاً أن مسؤولية هذه الأزمة تقع على عاتق المصارف الدولية والحكومات التي تديرها.

لم يستطع العالم أن يفهم أن هذه المصارف وهذه الحكومات مسؤولة عن تدمير اقتصاديات الدول الفقيرة، لأن هذه المصارف الدولية تحالفت مع عدد من رؤساء دول وأعضاء أسرهم، وقبلت إيداعاتهم المشكوك في مصادرها، ولم تكن هذه الإيداعات التي تم غسيل معظمها سوى حصيلة ما استولى عليه هؤلاء الرؤساء الفاسدون وعائلاتهم من دخول المصادر الطبيعية للبلاد.. ولم يقتصر الأمر على رؤساء هذه الدول وعائلاتهم، وإنما شمل العديد من كبار المسؤولين في هذه البلاد.

وكانت الثروات التي تحصل عليها هؤلاء الفاسدون كافية لرفع شعوب هذه الدول عن حد الفقر، وتجنيبهم البؤس والمعاناة، والاعتماد على المساعدات الخارجية التي يتحمل معظمها دافعوا

Deutsche Bank

ساعد مصرف (DEUTSCHE) الرئيس التركماني الراحل «نيازوف» على الاحتفاظ بمليارات الدولارات من دخول الدولة من الغاز!

الضرائب في الدول الغنية.

ثانياً: لا تتم العمليات المصرفية غير المشروعة إلا بوجود طرفين؛ أولهما: هؤلاء الرؤساء والرسميون الحكوميون الفاسدون من الذين يتحكمون في دخول ثروات هذه البلاد بمساعدة بعض الشركات المملوكة للدولة، أو بعض المصارف الوطنية المملوكة لفرد واحد، أو عدة جهات.. وثانيهما: المصارف الدولية الراغبة أصلاً في تلقّي إيداعات العملاء الفاسدين.. وغالباً ما تُستخدم هذه الشركات المذكورة كآلية مالية تعمل خارج ميزانية الدولة، أما المصارف الوطنية فتتاجر في المصادر الطبيعية خارج دائرة المنافسة الاقتصادية.

ثالثاً: من أشهر المصارف الدولية التي تواطأت مع العملاء الفاسدين: مصرف «باركليز»، ومجموعة «سيتي بنك»، ومصرف (HSBE) ومصرف (DEUTSCHE)، بالإضافة إلى مصارف أمريكية تم إغلاقها بعد ثبوت تورطها في عمليات غسيل للأموال.. وهناك عشرات من المصارف الصينية والبريطانية والسويسرية قامت بإقراض شركات نفط قومية في أفريقيا بلايين الدولارات بضمان النفط.

فَتَح مصرف «باركليز» حساباً شخصياً لابن دكتاتور غينيا الاستوائية «تيودورو أوبيانج»، الذي كان يودع في هذا المصرف عائدات نفط بلاده، أما مصرف «سيتي بنك» فقد قام بتمويل الحروب الأهلية في سيراليون وليبيريا، وتستَّر مصرف (HSBE) وراء قوانين السرية المصرفية في لوكسمبورج وإسبانيا، وأحبط الجهود الرامية إلى إثبات ضياع عائدات النفط في غينيا الاستوائية، وكذلك عمليات غسيل الأموال، أما مصرف (DEUTSCHE) فقد ساعد رئيس تركمانستان الراحل «صابر مراد نيازوف» - الذي كان معروفاً بوحشيته المفرطة وانتهاكاته لحقوق الإنسان - على الاحتفاظ ببلايين الدولارات من دخول الدولة من الغاز، وجعلها تحت تصرفه بعيداً عن ميزانية الدولة!

رابعاً: من المفترض أن تكون المصارف

أحد التماثيل الذهبية العديدة للرئيس التركماني الراحل «نيازوف» وسط العاصمة

الدولية خط الدفاع الأول ضد الفساد، لكنها لم تكن في الواقع كذلك، فقد كانت عملية نهب ثروات شعوب الدول الفقيرة تتم عبر هذه المصارف، رغم وجود قوانين مصرفية من شأنها أن تحول دون قبول العمليات المصرفية المشتبه فيها.. فهناك قوانين لمكافحة عمليات غسيل الأموال، وأخرى تُلزم المصارف بالتحقق من هوية المودعين المشكوك فيهم، لكن المشكلة أن هذه القوانين غامضة فضفاضة غير صريحة، ومليئة بالفجوات وغير شاملة؛ بحيث لا يمكنها التحكم في العمليات المصرفية التي تجري عبر الحدود الدولية.

لا تحدد هذه القوانين الآلية المناسبة للتعرف على هوية العملاء المشكوك في إيداعاتهم، أو من يتصدّر بدلاً منهم في إجراء هذه العمليات، والتأكد من أنها ليست ناتجة عن سلب مصادر ثروات البلاد، وفي الحالات التي تتطلب فيها القوانين المصرفية تقريراً عن العملاء المشتبه فيهم، كانت سلطات المصرف تستمر في الإجراءات الخاصة بعملية التحويل المصرفي بحيث تأخذ شكلاً قانونياً، رغم وجود اشتباه في حقيقة هذه العملية.

والواقع أن هذه المصارف كانت تقوم بالحد الأدنى من الالتزام باللوائح المصرفية، وكانت تستغل غموض هذه اللوائح والفجوات بها بطريقة لا تضعها في مشكلات قانونية كبيرة، كما كانت القوانين واللوائح المصرفية في الحكومات القومية هشة تماماً، وتعتمد في انحرافاتها على قوانين السرية المصرفية، وقد شجعت هاتان المسألتان المصارف الدولية على التعامل مع الأنظمة الفاسدة.

خامساً: تدّعي المصارف الدولية التزامها بمسؤولياتها الاجتماعية عن ضمان عدم تسرب الفساد إلى عملياتها المصرفية، لكن الحقيقة أن هذه المصارف المتعددة الجنسيات متورطة بالفعل في التعامل مع رؤساء الدول الفاسدين وعائلاتهم بشكل مباشر أو غير مباشر.

من أمثلة التورط المباشر احتفاظ مصرف «باركليز» بحسابات «تيودورين أوبيانج» - المشار إليه سابقاً - لفترة طويلة، ولم يقم المصرف إلا بجهد محدود في التحقق من سلامة عمليات التحويل المصرفية، وكان ذلك سبباً في غسيل بلايين الدولارات الخاصة بعائدات النفط في هذا البلد الأفريقي الفقير، والغني في الوقت نفسه بمصادره الطبيعية التي كانت كافية لرفع شعبه عن حد الفقر.. كان «تيودورين» عميلاً من نوع خاص للمصرف، وكان يتقاضى في بلاده راتباً شهرياً قدره أربعة آلاف دولار بصفته وزيراً في حكومة والده، إلا أنه كان يملك قصراً في «كاليفورنيا» قيمته ٣٥ مليون دولار!

ومن أمثلة التورط غير المباشر مساعدة مصرف «سيتي بنك» الرئيس الليبيري السابق «تشارلز تايلور»، الذي يُحاكم بتهمة اضطلاعه بجرائم حرب، في الاستفادة من تحويل دخول المصادر الطبيعية في بلاده إلى المصرف المذكور ثم استخدامها في تمويل الحرب الأهلية في بلاده.



فَتَح مصرف «باركليز» لابن رئيس غينيا الاستوائية حساباً شخصياً كان يودع فيه عائدات نفط بلاده!



وقد حاول المسؤولون في منظمة «جلوبال ويتنس» إخطار البنوك فيما اعتبرته شواهد فساد، فخاطبت مصرف «باركليز» لكنه لم يرد عليها بطريقة إيجابية، بل استند إلى قانون السرية المصرفية، وأبلغها بأن العمليات المصرفية تتم في حدود اللوائح الخاصة بالمصرف، وفي ضوء التشريعات التي تحول دون إتمام عمليات غسيل الأموال.

سادساً: وضعت المنظمة خطة لمقاومة هذا النوع من الفساد، أكدت فيها ضرورة أن تقوم المصارف بالتأكد من هوية العملاء المشتبه فيهم، وأن تضع الحكومات القومية التشريعات التي تضمن مكافحة عمليات غسيل الأموال، وتحسين القواعد القانونية في المصارف الوطنية، وضمان الرقابة والمحاسبة والشفافية في تعاملات هذه المصارف.

ودعت المنظمة مجموعة دول العشرين إلى تنفيذ وعودها بمساعدة الدول الفقيرة، وإدراك أن التغلب على مشكلة الفقر في هذه الدول يتوقف على مواجهة سرقة ثروات شعوبها، التي غالباً ما يجعلها السياسيون الفاسدون خارج ميزانية الدولة!■

الهامش

(١) منظمة (Global Witness)، أو ما تُسمّى بـ«الشاهد العالمي» أو «الشفافية الدولية»، منظمة غير حكومية ليس لها أي انتماءات سياسية.. أُسِّست عام ١٩٩٣م، وتسعى إلى القيام بحملات تعمل على كشف مصادر الفساد الناتج عن نهب واستغلال المصادر الطبيعية؛ مثل: النفط، والغاز، والغابات، والماس، والكاكاو.. حصلت على عدة جوائز دولية لما قامت به من جهود في هذا الميدان.

لله درّكم يا شباب مصر، ويا شعب مصر.. هكذا كنتم لأمتكم، وستعودون كذلك، أليس أجدادكم هم نعَمَ من استقبل دعوة محمد ﷺ، بعد أن استجابوا لدعوة موسى وعيسى عليهما السلام.

ألستم الذين أنقذتم الأمة من هجوم التتار الكاسح في «عين جالوت» في فلسطين عام ٦٥٨هـ، وكسرتم شوكته ورددتم كيده في نحره إلى الأبد بعد أن يئس الناس؟



يا شباب مصر.. مهمّتكم عالمية



بقلم: سالم الفلاحات (*)

ألستم الذين أرسلتم بفلذات أكبادكم من الشباب عام ١٩٤٨م إلى فلسطين لإغاثة إخوانكم أمام العصابات الصهيونية، وإن كنتم قد كوفئتم بالسجون والمعتقلات آنذاك؟!

ألستم الذين طردتم المستعمر من «القنال» بهبّاتكم ومقاومتكم الشعبية؟ وهذا قدركم إذ واجهتم العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، قدركم أن يكون عدوكم كبيراً شاملاً مدجّجاً بالقوة، له امتداداته في الخارج.

كيف لا يسقط؟!

لا يعرف التاريخ ثورة شاملة كثورتكم المقدسة العفيفة الشريفة الحضارية هذه الأيام، ملايين من الشبّان والفتيات من مختلف الاتجاهات والثقافات يتفقون على تحصيل الحرية والعدالة واستنشاق الهواء النقي دون تلويث.. ملايين يحرصون على نظافة الكلمة كحرصهم على نظافة المكان وأمنه عملاً لا قولاً.. ملايين تجتمع في ميدان واحد، لا تسمع حديثاً عن سرقة أو تحرّش أو استقواء على أحد أو استئثار بغنيمة أو حرص على ظهور.. لله دركم، والله معكم.

يحقق مائتا ألف متظاهر فقط، يقودهم «مارتن لوثر كنج»، من مائتي مليون أمريكي حقهم في العدالة والمساواة، بينما لا يُسمع لعشرة ملايين متظاهر وأكثر من هذا العدد يشاركونهم المشاعر والهم، يستمرون لأسبوعين متتالين ليلاً نهاراً من ثمانين مليون مصري!

والعالم اليوم من التواصل الإعلامي غير ما هو عليه أيام «لوثر كنج»، لكنه أعمى لا يبصر، أصم لا يسمع، أخرس أو متخارس عميل للدكتاتورية!

لا والله، لن يصمد نظام يعلن عن تقديم معظم رموزه للمحاكمة اليوم صدقاً أو تضليلاً وخديعة، وإن نظاماً يخرج الشعب بمختلف أطيافه وتوجهاته السياسية والمذهبية للمطالبة بإسقاطه من عشرة ملايين ولا يسقط، كيف لا يسقط؟!

لو كان عدو الحرية والعدالة عندكم فقط هو النظام الدكتاتوري لسقط منذ الأيام الأولى، واعلموا - وأنتم لا تجهلون؛ بل تُعلّمون الدنيا الفهم والوعي والنضج السياسي، والسمو الأخلاقي، والتفكير الإستراتيجي، والانتماء الوطني - أن أعداءكم هنا وهناك في الداخل العربي وعلى الحدود وخلف البحار يرمونكم بقوس واحدة.

إنهم.. وإنكم

إنهم يخشون من خروج مصر العروبة والإسلام من «إقطاعيتهم»؛ لتعود لعمقها العربي الإسلامي والإنساني.

● نعم، إنكم لا تطلبون من أدعياء الحرية والديمقراطية في العالم «المتمدن» نصرتكم، فهم لا مبادئ لهم سوى مصالحهم الخاصة، والاستجابة لضغوطات اللوبي الصهيوني المحتل لأرضنا ومقدراتنا وقراراتنا وإرادتنا الحرة وحتى لمستقبلنا.. إنهم اختاروا دكتاتور مصر على شعبها الذي يخرج في كل يوم بأعلى صوته، وهنيئاً لهم هذا الاختيار، وسيلعنهم الله والتاريخ والناس.

لن يُغمد سيف الإصلاح حتى يحقّق أهدافه المشروعة.. وإذا كانت المعركة غير متكافئة في الظاهر فإن الله معكم

● إنكم - ونحن معكم - نطلب ألا يستمروا في منهجهم الذي زرع الكره لهم في بلادنا، وأن يكفوا عن دعم المنهج الدكتاتوري؛ منهج «مبارك» ومن معه.

● إن العدو الصهيوني بكل جبروته هو الذي يخوض المعركة ضدكم، لأنها معركته وليست معركة النظام الهالك، وقد حشد أتباعه وأولياءه في الأرض ضدكم.

● إنكم في حرب عالمية من أجل الخير والإنسانية والعدالة والكرامة، تريدون تحصيلها في بلادكم ليعم خيرها في الدنيا، وهم لا يقيمون وزناً لكل هذه القيم وليسو لها بأهل.

● لكن شعباً فيه أمثالكم من الأُسود من الشبّان والفتيات لن يُقهر، ولن يُغمد سيف الإصلاح حتى يحقق أهدافه المشروعة، وإن كانت المعركة غير متكافئة في الظاهر، فالله معكم، ودعوات المظلومين المقهورين في الليل معكم.. ومن كان يظن أن أجدادكم سيهزمون التتار أو أنكم ستطردون الإنجليز؟!

وأخيراً، لا يخفى عليكم أنكم تخوضون ثورتكم البيضاء الشريفة، ليس لتحرركم أنتم فقط في مصر، إنما أنتم تسهمون بدرجة كبيرة في فتح الأبواب الموصدة على شعوبكم العربية في بلاد كثيرة تشكو مما تشكون، مما يعطي ثورتكم شرعية شعبية عربية واسعة، فأنتم تتحدثون بألسنة شعوبكم العربية.

إن الأمور بخواتيمها، ومن صبر ظفر، والشجاعة صبر ساعة، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ (يوسف).■

(*) مراقب عام الإخوان المسلمين في الأردن - سابقاً



منسأته تتآكل.. كما تَدين تُدان!

«إنها ملهمة لكل العالم».. هكذا صرّح واعترف الرئيس الأمريكي «باراك أوباما» عندما وصف ثورة شباب مصر في يوم ٢٥ يناير ٢٠١١م، وما تبعتها من تداعيات محلية وعالمية.. ذلك اليوم الزلزال وتوابعه المستمرة وتداعياته المتعددة محلياً وعالمياً ليس مجرد ثورة واحدة لشباب أرض الكنانة ضد الطاغية وأعوانه ونظامه؛ بل هي منظومة مركبة من الثورات الخاصة والعامة داخلياً وخارجياً.

د. حمدي شعيب

قيل عنه: شخصية بطيئة الفهم.. موقفه جر عليه جزاءً من جنس عمله حيث قوبل عناده بعناد الشباب الثائر

وتلك هي خواطري التي استطعتُ أن ألملمها من أركان داخلي، وجمعتُها من زوايا نفسي، بعد أن أفقتُ نسبياً من وقْع هذا الزلزال الذي أصاب كل أجيالنا المصرية والعربية والإسلامية بل والعالمية، خاصة جيلي الذي سمّيته يوماً «جيل الأحلام المسروقة»!

ماذا أقول لهذا الجيل العظيم من شبابنا الجميل، الذي أحدث العديد من التحولات الفكرية والسلوكية.. وهذه بعض المشاهدات التي نعتبرها محطات أو منعطفات غيّرت من شخصياتنا ومن حياتنا ومن مصرنا الحبيبة.

غيرتمونا وأخجلتمونا

لطالما حزنتُ على جيلي - جيل الأحلام المسروقة - جيل أبناء خمسينيات وستينيات بل وسبعينيات القرن الماضي؛ جيل «الثورة المجيدة»، وعلى أحلامه التي سرقها رجال ثورتنا التقدّميون الاشتراكيون؛ وهم يستولون على حلمه الكبير.. وإذا بتلك العصابة التقدّمية تمسك بزمام السلطة والثروة، ويصبح أفرادها «سوبر باشاوات» بعد أن زال الباشاوات!

وكان كل ما نمتلكه لمحاربتهم مجرد كلمات وصرخات مكتومة، ومقالات وكتب تُرَّص على الأرفف، وحسرات وعيون زائغة من القهر والركون.

ولكن هذا الجيل تحرك لينتزع حقه وحقنا من تلك العصابة؛ واكتشفنا أنهم جيل المبادرة والشجاعة ونحن جيل الولولة!

شرفتمونا

ولكم ردّدنا وكتبنا عن خوفنا من تآكل القوة المصرية والعربية الناعمة وهشاشتها، وكنا نقصد بالقوة الناعمة تلك العوامل التي تشكل قوة غير خشنة وغير عسكرية للأمة، وهي التي تصنع مهابتها الفكرية والثقافية والأدبية والعلمية والمعلوماتية والإبداعية، والتي بها تؤثر في غيرها من الأمم معنوياً، وتصنع حصوناً داخلية تحميها من أمراض التميع والانزواء والوهن الحضاري.. فهي قوة حماية وحصانة داخلية، وقوة تأثير ومهابة خارجية، ومن أعظم عوامل تدميرها المناخ السياسي وحصاده المر.

فإذا بهذا الجيل يقلب الطاولة علينا وعلى العالم؛ فيشرفنا ويشكل قوة مصر العظيمة الناعمة في «ميدان التحرير»، ويعيدها إلى مكانتها الرائدة الشامخة في صنع الأحداث والتأثير في الآخرين، ووجدنا أنفسنا نردد كلمات حافظ إبراهيم - يرحمه الله - وهو يُبكينا في قصيدته «مصر تتحدث

عن نفسها»:

أنــا إن قـــدّرَ الإلـــهُ ممـاتـي
لا ترى الشرقَ يرفعُ الرأسَ بعدي

أخرستمونا!

بماذا يرد جيلي وجيل آباء وأجداد هذا الجيل العظيم الرائد، عندما يرى في عيون أبنائه وهم يقولون في أنفسهم ما أعلنه أحد المحتجين الذي صمم على عقد قرانه في الميدان قائلاً: «نحن لا نتسلى ولا نهزل فنحن صامدون، ونقول لآبائنا: لن نسامحكم على قبولكم الظلم والقهر والفقر والفساد»؟!

دموع وقحة!

لقد كان الزلزال العظيم يوم «جمعة الغضب» الموافق ٢٨ يناير ٢٠١١م، هو ذلك الانهيار المريع للمؤسسة الأمنية المرعبة التي كانت تستولي على حوالي ١٥ مليار جنيه من ميزانيتنا السنوية، حتى تغولت وأدخلت أنفها في تعيين وسفر ويوميات كل مواطن شريف!

وكان جيلي ينظر إليها برعب ورهبة؛ ولكن هذا الجيل استطاع أن يتحداها بصدره العاري؛ كما انتشرت صور تحديه واستشهاده على كل المواقع والفضائيات.

وقد شاهدنا اللواء «فؤاد علام» المتحدث الرسمي والمدافع الشرس - رغم تقاعده - يستمع على إحدى الفضائيات إلى صرخات الضباط الهاربين الكارهين لعملهم ولخيانة قادتهم، ثم جاءت اللحظة الفاصلة لنراه يذرف الدمع متألماً من الفضائح العلنية؛ فانقلب السحر على الساحر!

فجزاكم الله خيراً أيها الشباب، فقد أخذتم بثأر جيلنا المرعوب الرخو من هذا الرمز الكريه ومن مؤسسته.

جرائم مفضوحة

ولطالما كنا نسمع اللواء «نبيل لوقا»، أحد الأبواق الإعلامية للمؤسسة الأمنية، وهو يبرر وينافح ويدافع عن جرائمها، حتى صرنا نتندر على قسمه الشهير على الفضائيات: «وأعدم أولادي، ليس هناك تعذيب في مصر»، ثم رأيناه يستجدي ويصرخ ويردد مرات ومرات: «يا أمريكا.. اتركينا شهرين»!

يا إلهي! هل بعد هذه العقود من الفساد والقهر والكبت والظلم تستجدون وتطلبون مهلة شهرين؟

وبعد انكشاف سوءات المؤسسة الأمنية وخيانة قادتها، وافتضاح جرائمها بالأبرياء، نقول له: «هل ستعدم أولادك»؟!

شهادة ملعونة

ثم رأينا «محمد حسنين هيكل» يقول عن نفسية «مبارك» وسلوكياته وتفاعله مع الأشخاص والأحداث: إنه «شخصية بطيئة الفهم، بطيئة رد الفعل»، وأحد المقربين منه قال عنه: إنه «يمتلك دكتوراه في العناد».. فبئست تلك الشهادة الملعونة التي أودت ببلادنا، وبئس المصير الذي ينتظر حاملها!

والنتيجة أن عناده يجر عليه جزاءً من جنس عمله؛ حيث يُقابل عناده بعناد الشباب، فكلما رأوا تنازله يوماً بعد يوم يعاندون ويرفعون سقف طموحاتهم ومطالبهم.

«الحرباء» يكشف السر

وكان من المشاهد العجيبة، بروز سمات المنافقين المتلونين من حملة المباخر للسلطان، ومنهم «محمد علي إبراهيم»؛ هذا الكاتب

هذا الشباب تحرّك لينتزع حق الشعب من عصابة النظام.. واكتشفنا أنهم جيل المبادرة والشجاعة ونحن جيل الولولة!

الحرباء الذي طالما كتب عن شرفائنا، ووصم كل فريق بسلة من الكلمات السوقية، مثل: «المحظورة» و«شهيد البانجو»، ويقصد به الشاب الشرارة «خالد سعيد».

فاليوم نقرأ له في صحيفة «الجمهورية»، واصفاً المادتين (٧٦) و(٧٧) من الدستور بأنهما من المواد المفصلة على مقاس «جمال مبارك»، كاشفاً لنا مغزى شعار أسياده: «من أجلك أنت»!

«فزاعة» بطل مفعولها

وكان من المحطات العجيبة، ذلك التحول في رأي النظام حول «فزاعة» الإسلاميين التي كان يصدّرها للغرب حتى لا يطمعوا في البديل؛ فرأينا رموز النظام يستجدون الإخوان المسلمين للحوار، ورأينا «أوباما» يعلن أنهم مجرد فصيل من الفصائل المصرية على الساحة.

ثأر دفين

ومن العجيب أن نرى كل مقار هذا الحزب الفاسد وهي تشتعل ناراً ورماداً؛ خاصة المقر الرئيس؛ فنكتشف مدى كراهية الشعب للظالمين والجلادين، وندرك حقيقة شعبيتهم بيننا، ومدى هذا الثأر الدفين الذي تشكل طوال سنوات عديدة.

مخزون إستراتيجي

وعندما شعروا بنهايتهم وبالخطر المحدق بهم؛ وبعد فشلهم في مواجهة طوفان الثورة، قام رجال الأمن بإطلاق السجناء والبلطجية لينشروا الفوضى والذعر في الشارع، وهو يكشف لنا الاحتياطي الإستراتيجي والسلاح السري للنظام الفاسد، وهو حصاد لمنظومة مكوناتها السلطة والثروة والأمن والتزوير والفساد!

موقعة «الجمل»

أما فضيحة «موقعة الجمل» الشهيرة في ميدان التحرير؛ فهي تكشف لنا عنوان الحكومة الإلكترونية، وتكشف الحصاد النكد لأقطاب لجنة السياسات وفكرهم الجديد، وهذه المواجهة المضحكة البائسة تكشف كيف يكون الفرق بين فكر شباب الـ«فيسبوك» والإنترنت وفكر أصحاب الجمال والبغال!

كشف العملاء

أما المحطة أو النتيجة الأخطر، فهي أن هذه الثورة الشبابية قد أحدثت فرزاً يميّز بين الشرفاء وعملاء النظام من المفكرين والسياسيين والإعلاميين؛ بل وفي كل مجال.. ويكفي ما رأيناه من طرد «مكرم محمد أحمد» من النقابة بطريقة يستحقها من جموع الشرفاء من الصحفيين.

جزاء مستحَق

ولعلنا، ونحن نتابع ونتفاعل مع يوميات الثورة وثوارها، نتذكر كيف أن هذا النظام الفاسد القمعي قد قتل أجيالاً منا على مدار عقود عجاف كئيبة بائسة، وكأنه كان يمارس طريقته الجهنمية بالقتل التدريجي والموت البطيء.. لذا، وجدنا من فعاليات الثورة والثوار الشباب الأبطال ومن سار في ركبهم، أنهم بتصميمهم وبرفع سقف طموحاتهم وضرباتهم يوماً بعد يوم؛ قد رسموا لنا صورة نظام يتكئ على عصا قديمة هشة، كل يوم تتآكل بفعل الضربات وبفعل دابة الأرض التي تنخر فيها ساعة بعد ساعة؛ فلعل الله يريد له أن يسقط صريعاً بالتدريج، وبموت بطيء يشفي غليل المظلومين ويسر قلوب المؤمنين، والجزاء من جنس العمل!■

اللهُ أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.
الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.
اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.
اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.
اللهم لك الحمد؛ فقد نصرت عبادك، وهزمت الطواغيت، وأسقطت الأصنام.



د. محمد بن موسى الشريف (*)

هذا يوم من أيام الله تعالى

هذا يوم من أيام الله تعالى، خُتم به ثمانية عشر يوماً كانت نتائجها أقرب إلى الخيال، في ثمانية عشر يوماً سقط الطاغوت، وانقلع ابنه، وذهب المجرم الأثيم «صفوت الشريف» الذي أجرم منذ زمن العبد الخاسر إلى أن أذهبه الله غير مأسوف عليه، وسقط «فتحي سرور» المزوّر الأكبر، والغاش الأعظم، وطرد «أحمد عز» السارق الأكبر، والمجرم الذي نهب مصر، وتوالى سقوط أصنام «الحزب الوطني» الحاكم في مصر.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾(الأنعام).

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾(القصص).

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (يونس).

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾(الإسراء).

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾(آل عمران:٢٦).

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.
الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

وهذا هو الشعب المصري يُخْلف ظنون الأمّة فيه التي كانت تظن أنه آخر من يثور، وأنه وديع مسالم منذ زمن فرعون القديم إلى زمن فرعون العصر الحديث، فإذا به يصبح أول من يثور من الدول الإسلامية المهمة المتاخمة لإخوان القردة، ويفتح الطريق للشعوب إلى التحرر من الطغيان.

أمّا أنت يا أيها الرئيس المخلوع، فاقرأ هذا الحديث النبوي الشريف الصحيح: «إن الله إذا أبغض عبده نادى جبريل: إني أبغض فلاناً فأبغضه، فيبغضه جبريل، وينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له البغضاء في الأرض»، فها هي البغضاء تحوطك من كل جانب، وكل شخص يدعو عليك، ويتمنى محاكمتك، ويتقرب إلى الله ببغضك، فماذا استفدت من السنوات الثلاثين التي حكمت مصر أثناءها؟ خرجت يلعنك الناس ويلعنك التاريخ، خرجت وفي عنقك من الدماء والتبعات والمظالم ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا الله، فهو كالبحر الذي لا يُدرى طرفاه، ولا يُعلم عمقه.

ماذا استفدت يا مسكين وستأتي يوم القيامة ويتعلق بك أصحاب المظالم؟ واقرأ حديث رسول الله ﷺ: «ما تعدون المفلس فيكم؟»، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار. قال ﷺ: «لكن المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات عظيمة، يأتي وقد شتم هذا وضرب هذا، وقذف هذا، وسفك دم هذا فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، وهذا من حسناته، وهذا من حسناته، حتى إذا فنيت حسناته طُرح عليه من سيئاتهم ثم أُمر به فسُحب على وَجهه ثم أُلقي في النار»، وهذا لمن كانت حسناته عظيمة ومظالمه محصورة، فكيف بك ولا نعلم أن لك حسنات عظيمة، ومظالمك كالبحر الزخّار الهائل؟ نعوذ بالله من الخذلان.

ماذا استفدت يا مسكين بعد أن حجرت على أهل غزة وحاصرتهم، ومنعت عنهم المعونات، وحرضت عليهم اليهود؟ فكم كفاً رفُعت في السحر تدعو عليك؟ وكم عيناً ذرفت دموعها من قهرك لها؟ وكم قلباً حرقت؟ وكم زوجاً أثكلت؟ وكم صبياً وصبية يتّمت؟ وكم مجاهداً قتلت؟

ماذا استفدت يا مسكين وقد كنت عميلاً للصهيونية العالمية، والصليبية العالمية، ولكل أعداء الإسلام، ووقفت في جانبهم وتنكرت لقومك وأمتك وأدرت لهم ظهرك، وصممت أذنيك عن كل مطالبهم؟

ماذا استفدت يا مسكين بعد أن ألجت في بلادك الربا والزنا والقمار، ونحيت الشريعة ورفضتها رفضاً تاماً، وكنت لها عدواً لدوداً، وحكمت بلادك ثلاثين سنة بالقانون الوضعي؟ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾(المائدة)، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾(المائدة)، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ (المائدة).

ماذا استفدت يا مسكين بعد أن نهبت بلادك، وأفقرت شعبك، ومكّنت لكل رويبضة تافه وأبعدت الصالحين، وسجنت المؤمنين، وعذبت الدعاة العاملين؟

ها أنت يا مسكين قد أصبحت في مزبلة التاريخ، وذهبت عنك لذة الحكم، وبقيت غصته العظيمة، وتذكر قول الفاروق: لو عثرت بغلة في العراق لسألني الله عنها: لمَ لمْ تعبّد لها الطريق؟

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.
الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

أما أنتم يا أعوان الطاغية ويا أزلام فرعون؛ فاقرؤوا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾(هود).

وانتظروا المحاكمة العادلة في الدنيا قبل

(*) أكاديمي وداعية سعودي - المشرف على موقع التاريخ
www.altareekh.com

الشعب المصري يفتح الطريق أمام الشعوب للتحرر من الطغيان

ثمانية عشر يوماً أسقطت الطاغوت «حسني مبارك» وقلعت ابنه

ماذا استفدت يا مسكين بعد أن نهبت بلادك وأفقرت شعبك ومكّنت لكل رويبضة تافه وأبعدت الصالحين وسجنت المؤمنين وعذبت الدعاة العاملين؟



محاكمتكم أمام الجبار العظيم الذي لا تغيب عنه غائبة في الأرض ولا في السماء.

أما أنت أيها الطاغية، فانتظر محاكمة عادلة في الدنيا قبل محاكمة القيامة العظمى، يوم تأتي وفي عنقك ملايين المظالم، وقد غششت رعيتك، وفعلت الأفاعيل العظام، وداعاً يا مسكين لا لقاء بعده إن شاء الله.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

أما أنتم أيها الشعب المصري الباسل، فشكراً لكم وهنيئاً لكم، ونحن فخورون بكم وبجهادكم وصبركم وتضحياتكم.. لكن ينبغي تذكر الآتي أيها الإخوة والأخوات:

أولاً: إياكم وسارقي الثورات، فقد سُرقت ثورة الجزائر ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، وسرقت ثورة اليمن سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، وسرقت ثورة تونس ١٣٧٦/١٩٥٦م، وسرقت ثورات أخرى، فإياكم يا أحبابي من سرقة ثورتكم، فلا تستبدلوا ظلماً بظلم، ولا طغياناً بطغيان، ولا تقبلوا هذا، فإن حصل انزلوا مرة أخرى إلى الشوارع وتظاهروا، ولا تقبلوا بالظلم مرة أخرى أبداً، وهذا هو الظن بكم إن شاء الله تعالى.

ثانياً: إن أهم المهمات الملقاة على عاتقكم منذ سقوط الطاغوت هو العمل الجاد المخلص على إقامة شريعة الإسلام، فبدون الشريعة لا قيام لكم من ضعفكم، ولا عذر لكم عند ربكم بعد زوال الطاغوت المانع والصنم المدافع، وهذه فرصة جليلة أن يُحكم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في أعظم بلد إسلامي وأكثره أهمية، وتذكروا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾(الأعراف:٩٦)، ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾(الحج:٤١).

ثالثاً: يا مشايخ مصر، قد زال الطاغوت فارجعوا إلى ما ينبغي أن يكون عليه المشايخ من العز والكرامة والأثر البالغ في المجتمع، ارجعوا إلى العظمة التي كانت لمشايخ الأزهر الكبار، ولا تنسوا أنكم من بلد «العز بن عبدالسلام» سلطان العلماء، ومن بلاد «عمر مكرم» قاهر الإنجليز.

رابعاً: أيها الدعاة في مصر، أنتم الأمل بعد الله تعالى، فأعيدوا الشعب المصري للتمسك بدينه من جديد؛ ليكون الشعب الصامد في وجه أعداء الإسلام، ليكون الشعب الذي عرفناه قاهراً للتتار في «عين جالوت»، ومطهراً الأرض من الصليبيين في «عكا»» وهو الذي هزم اليهود في رمضان سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

اللهم لك الحمد أن أحييتنا حتى نرى هذا اليوم العظيم، يوم زوال الطغيان واضمحلال البهتان، وانهدام حزبهم المزعوم، وانقلاع أركانه إلى الأبد إن شاء الله تعالى.

وأنصح حكام العرب - من الذين طغوا وبغوا - بأن يحكّموا شرع الله تعالى، ومصالحة شعوبهم قبل أن يصيبهم ما أصاب الطاغية، وتبرأ منهم شعوبهم، وتبقى مظالمهم في أعناقهم إلى يوم لقاء الله تعالى.

وأنصح الشعوب العربية الرازحة تحت حكم الطغاة بالصبر وتقوى الله تعالى حتى يهيئ الله تعالى لها فرجاً ومخرجاً، كما هيأ لشعب مصر من حيث لا يحتسبون.

ولا أجد أحسن ختاماً من قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾(آل عمران).

﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾(الأعراف).

﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾(الأعراف).

والله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.■

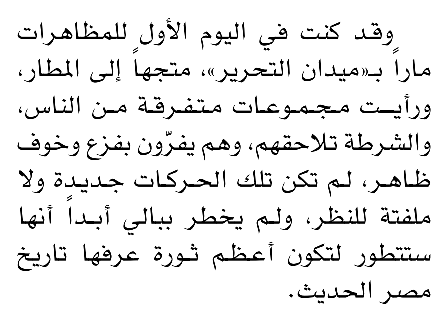
انفتحت شهيتي هذه الأسابيع على مشاهدة التّطورات المتلاحقة في أرض مصر الحبيبة، بدءاً من «ميدان التحرير» الذي سيخلّده التاريخ كمنطلق لثورة شبابية لا عهد للناس بها، ومروراً بأحياء القاهرة والإسكندرية والسويس والإسماعيلية والمنصورة.. وحين أمرّ بمقال ذي بال يتعلق بأحداث مصر، فلا بد أن أعيره اهتماماً، وأبحث عمّا يميّزه عن مقالات أخرى.





ادخلوا مصر آمنين

بقلم: د. سلمان بن فهد العودة(*)



وقد كنت في اليوم الأول للمظاهرات ماراً بـ«ميدان التحرير»، متجهاً إلى المطار، ورأيت مجموعات متفرقة من الناس، والشرطة تلاحقهم، وهم يفرّون بفزع وخوف ظاهر، لم تكن تلك الحركات جديدة ولا ملفتة للنظر، ولم يخطر ببالي أبداً أنها ستتطور لتكون أعظم ثورة عرفها تاريخ مصر الحديث.

إنها ثورة سلمية هادئة.. لا سلاح ولا قتال ولا تدمير، بل الثوّار نسّقوا لجاناً للحماية والأمن، وحموا المتاحف والمؤسسات، وضربوا مثلاً في الانضباط، وصنعوا حياة كاملة الملامح جميلة الشيات في ميدانهم الشهير، وكان العدوان والقتل والفساد من قبل المنتمين إلى النظام السابق، فقد تغيرت أشياء جذرية وجوهرية وعميقة، وأنا متفائل بأن «مصر الجديدة» ستكون شيئاً آخر مختلفاً عمّا عهدناه، وستعيد ثقة الشعوب العربية الإسلامية بهذا البلد العظيم.

وهي ثورة عفويّة صادقة مباشرة، ليس وراءها أيديولوجيات خاصة، ولا دوافع سياسية، شعاراتها واضحة وأهدافها جليّة، ولذا سرعان ما حازت ثقة الجميع، وها هو الإعلام الرسمي المصري في صحفه وقنواته يغيّر موقفه منها، ويعود يثني على هؤلاء الأبطال ويمجّد ثورتهم، الرسميون إذا أعلنوا أنهم مع الثورة، أيا كانت الدوافع، إنه انحياز الناس للحق تارة، وانحيازهم للغالب تارة أخرى، وكلا الأمرين مما يُحسب لثورة «الفيس بوك»، ثورة العطاش إلى الحرية والحقوق والشفافية.

ثورة تنبثق من رحم المجتمع الشاب المتطلع، دون تيارات بارزة أو أحزاب عريقة، وهي بهذا تبتكر نمطاً جديداً يُضعف قيمة الترميز للقادة سواء كانوا سياسيين أو اجتماعيين، ويعطي أهمية للأفراد العاديين، وللفعل الجماعي المؤسسي المبني على المصداقية.

وهي بهذا تختلف عن ثورات مصرية سابقة، ارتبطت بأسماء سياسية كـ«سعد زغلول»، أو «عبدالناصر»، أو ثورات أخرى كان يقودها أشخاص لهم كاريزما كـ«الخميني».

ثورة هادئة لا تُستَفَزُّ ولا تُستدرج، ولكنها صبورة ومصرّة على مطالبها.

وثم أمر قد لا ينتبه له أحد من المحللين، هو أن تلك الثورة ومن قبلها ثورة تونس، ضربت منهج تنظيم القاعدة وأنصارها في الصميم، وبات واضحاً جلياً أن التغيير في المنطقة ممكن بالأسلوب السلمي الحضاري المشرّف الذي تحرك به الشعب المصري والتونسي، دون أن تغرق المدن في شلالات من الدم، وتعيش حالة رعب وفتنة داخلية تأتي على الأخضر واليابس.

ولقد ساورني قلق وأنا أرى بعض السياسيين يظهرون في حوار مع الساسة، وخشيت أن تُختَطف ثورة المهمشين أو يُراهن على عامل الوقت في تذويبها، ففوجئت بموقف واضح وسهل يتحدث عن مطلب واحد هو «الرحيل» دون شيء آخر، وأن المليون أصبح ملايين، واليوم أصبح شهراً، والشعب المصري يكشف عن ذكاء فطري ولطف وظرف وإبداع وتلاحم غريب.

أنا لست ضد الحوار، لكن مرجعية المرحلة الجديدة هي في «ميدان التحرير»، وهؤلاء الشباب يجب أن يحظوا باحترام الجميع حتى من هم في مقام الآباء، لأنهم نجحوا فيما أخفق فيه الآخرون.

ثورة جديدة وملامح مختلفة، يجدر بالمؤرخين والاجتماعيين أن يتوفروا على دراستها بعد اكتمال نموذجها، لأنها ستتكرر في أكثر من بلد حسب ما يتوقع الخبراء، وقد وضعت صحيفة «النيوزويك» رهاناً بالدولارات على أيّ البلاد أسرع لاقتفاء النموذج المصري: الجزائر؟ أم الأردن؟ أم سورية؟..

«في ميدان التحرير.. في صلاة الجمعة، حينما وقف المسلمون للصلاة كان المسيحيون المصريون يحمون ظهورهم.. ويوم الأحد، حينما وقف المسيحيون لأداء القدّاس، كان المسلمون المصريون يحمون ظهورهم..!!

لذلك أقول: لا تقدموا لنا محاضرات عن القيم البريطانية.. إنني اليوم أريد القيم المصرية.. والقيم العربية والقيم الإسلامية.. إنها ثورة ضد الاستبداد والظلم.. إن هؤلاء الثوار منظمون بشكل بديع.. إنها لأعظم رسالة يوجهها المصريون والعرب والمسلمون للخائفين من الإسلام (إسلاموفوبيا) وللمتحدثين عن الإرهاب.. ليقولوا: ها هم المصريون فوق الجميع..»، هكذا خطب الناشط البريطاني «جون رييز» عن مصر بعد زيارة قام بها لميدان التحرير في القاهرة.

وفي مشاركة تلفزيونية قال المفكر الأمريكي «نعوم تشومسكي»: «إن هذه الانتفاضة هي أعظم ثورة استثنائية حسب ما أذكر.. إنها ثورة منطقة.. وليست ثورة شعب».

من عجائب ثورة «ميدان التحرير» أنها كشفت ضلالاً فكرياً يعيشه أولئك الذين يحددون مواقفهم على نقيض مواقف الآخرين، وليس على الأسباب الموضوعية.

(*) رئيس مؤسسة الإسلام اليوم
والأمين العام لمنظمة النصرة العالمية

لقد أصبحت الولايات المتّحدة أقرب إلى تأييد الثورة وعلى لسان الرئيس ذاته، وكذا إيران وحزب الله، وتركيا وماليزيا، وهي غير منحازة، ولعل معظم دول العالم تعاطف معها، فهذا موقف مشترك يجمع النقائض.

هناك من يتعاطف مع أشواق الحرية والشفافية والعدالة والآفاق المستقبلية الواعدة.

وهناك من يسجّل بموقفه ثأراً من نظام يتهاوى.

والناس تتعرف على الدوافع، بيد أن من الخطأ أن يتعوّد المرء على تحديد موقفه بالتأييد أو الرفض بناء على مواقف الآخرين.

ومن عجائبها أن عرّت فئة من الناس، مصابين بهوس التصنيف، فموقف واحد تتوافق فيه مع فئة كفيل عندهم بإلحاقك بهذه الفئة، فإن وافقت موقفاً رسمياً سمّوك حكومياً، وإن وافقت موقفاً غربياً سموك عميلاً، وإن وافقت رأياً يقول به الإخوان سموك إخوانياً، وربما وصفوك بالشيء ونقيضه، وكأنهم ينتقمون من خلافك معهم..

هذا موقف غير أخلاقي، وغير علمي، وقد لا يُسجَّل على صاحبه في الدنيا لأنه غير معروف، ولكنه يُحاسب عليه في الآخرة، خاصة إن كان ممن يمتهن مثل هذه الأساليب الرخيصة!

ويشبه هذا مَن يمنحك الثقة والمرجعية لموقف واحد، وقد يسلبها منك لموقف واحد، مع أن العدل الشرعي يقتضي التوازن وحسن المعذرة واحتمال الخطأ أو العثرة، وما من إمام أو عالم أو فقيه أو أيٍّ كان إلا وله زلّة أو عثرة:

سامِحْ أخاكَ إذا خلَطْ
منهُ الإصابةَ بالغلَطْ
وتجافَ عنْ تعْنيفِه
إنْ زاغَ يوماً أو قسَطْ
واحفَظْ صَنيعَكَ عندَه
شكرَ الصّنيعَةَ أم غمَطْ
مَنْ ذا الذي ما ساء قطّْ
ومَنْ لهُ الحُسْنى فقطْ



هذه الثورة العظيمة تملي علينا سؤالاً، لا يجوز أن يمرّ دون توقف:

● **كيف تتعرف على مشاعر الآخرين تجاهك؟ أيها الحاكم، أيها المسؤول، أيها المعلم، أيها الأب، أيها الزوج، أيها الموظف، أيها التاجر، أيها الإصلاحي..؟**

أن تكون قريباً منهم، قادراً على التقاط الإشارات ولو كانت خفية، غير مغترّ بخداع التقارير الوهمية، أو تطبيل الإدارات الإعلامية، أو هتافات المنتفعين الذين سيقلبون لك ظهر المِجَنّ عند أي بادرة، وسيظهرون عبر وسائل الإعلام ليقولوا: كنا مخدوعين أو مُضَلّلين أو مُضطرين، وليكفروا عن ماضيهم بمزيد من الهجوم والفضح والتعرية.

«الفيسبوك» ذاته قبل أن يكون أداة لتنظيم الثورة كان أداة لاستماع المسؤول إلى أنين الناس وشكواهم وتذمرهم وعتابهم، بل ودمدمات الغضب في نفوسهم، وقد قال ﷺ لمن أرادوا تسكيت رجل أغلظ له: «دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً»(رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة).

مراكز الأبحاث والدراسات الجادة الصادقة، التي يمكن أن تكون جزءاً من كل وزارة أو حكومة، أو مسؤول أو أمير كفيلة بأن تعطي مؤشرات حقيقية عن مشاعر الناس قبل أن تتراكم لتصبح بركاناً لا يمكن ردّه:

إن احتدامَ النار في جوف الثرى
أمرٌ يثير حفيظة البركانِ
وتتابع القطرات ينزل بعده
سيلٌ يليه تدفّق الطوفانِ
فيموج يقتلع الظلام مزمجراً
أقوى من الجبروت والطغيانِ

يجب أن نسمع ممن تحت أيدينا، من أبنائنا أو موظفينا قبل أن نحتاج إلى أدوات مختلفة لكي نسمع.

وحين نسمع يجب أن نفهم ولا يكفي أن نقول: فهمنا أو تفهمنا تمريراً لموقف ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ** ﴿٢١﴾﴾(الأنفال).

ولكل محبي مصر العزيزة أن يتفاءلوا بمستقبل أفضل، وهم يقرؤون قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** ﴿٩٩﴾﴾ (يوسف).

سيدخلون مصر وهي أكثر أمناً، وأفضل اقتصاداً، وسيجدون حرية حقيقية، واحتراماً لحقوق الإنسان، وسيراً في طريق التنمية المتكاملة المستدامة، والنهوض الحضاري، لتصير مصر طليعة الدول العربية.

نعم..!

لقد تأخرنا كثيراً، ولكن ها هو الفجر الصادق بإذن الله يضيء الأفق وينعش النفوس وينثر أشعته البيضاء في دروب طالما ألفت الليل وظنّته سرمداً لا يزول، وإن غداً لناظره قريب.■



فرح غامر وفرج واسع وترحيب عريض برحيل «مبارك»، اشترك في هذه المشاعر حلفاؤه قبل معارضيه، فقد وضع الشعب الثوري مصر في مقلة العين وسويداء القلب، وخرج بقوة في الثورة وقوة في الفرحة، ولم تفت في عضده أو تضعف طاقته ما كان يحصل عليه في العهد البائد من فتات المال وبقايا المائدة.. وكان ما يحدث في مصر بمثابة «تسونامي» شعبي، وكان سقوط «مبارك» بالشرعية الثورية أعظم من سقوط حائط برلين وانهيار الشيوعية في أوروبا الشرقية.

أصداء سقوط «مبارك» لدى الغرب

«إندبندنت»: رحيل طاغية.. ونشوة شعب

ما حصل بالفعل يُعَدُّ لحظة تاريخية مهمة، فقد أعادت ترسيخ مكانة مصر كقائدة للعالم العربي، والشعب المصري في الصميم الأخلاقي لهذا العالم.. وخرج المصريون والعرب والأوروبيون المتعاطفون في معظم المدن الغربية الكبرى يعلنون عن فرحتهم.

وقد عبّرت الشعوب ووسائل الإعلام والسياسيون في بريطانيا عن انتفاضة مصر ونشوة فرحتها بسقوط الطاغية، وهذا بالضبط كان عنوان مقال في صحيفة «الإندبندنت» البريطانية تحت عنوان «رحيل طاغية ونشوة شعب»، يرصد ردود فعل الشعب المصري في القاهرة على إعلان الرئيس المخلوع.

رحل العجوز

أما «روبرت فيسك» - الكاتب بالصحيفة نفسها، والموجود في العاصمة المصرية القاهرة منذ بداية الأحداث - فيصف اللحظة التاريخية[1] بقوله: «فجأة انفجر الجميع بالغناء والضحك والبكاء.. فجأة سجد الكثيرون على الأرض وبدؤوا بتقبيلها.. بدأ بعضهم بالرقص وآخرون شكروا الله على تخلصه من الرئيس.. بدا المشهد وكأننا في عرس، وكأن كل رجل وامرأة أمامي تزوج لتوّه.. سيُعرف هذا الحدث في التاريخ باسم «ثورة ٢٥ يناير»، وهو اليوم الذي اندلعت فيه الثورة، وسيؤرَّخ له على أنه اليوم الذي ثار فيه شعب مصر».

ويضيف «فيسك» قائلاً: «رحل الرجل العجوز، ولم يسلِّم السلطة لنائبه بل للجيش.. هؤلاء هم العرب الذين يضطهدهم الغرب ويميِّز ضدهم ويعاملهم الكثير من «الإسرائيليين» الذين يرغبون ببقاء حكم «مبارك» كمتخلفين وجهلاء، هبُّوا ونفضوا عنهم خوفهم، وطردوا الرجل الذي يحبه الغرب ويعتبره زعيماً معتدلاً.. نعم، ليست شعوب أوروبا الشرقية وحدها القادرة على مواجهة الوحشية وتحديها».

عالم عربي شجاع

تحت هذا العنوان كتبت صحيفة «الجارديان» البريطانية في افتتاحيتها عن الثورة المصرية[2]، واصفة كيف انتهت ثلاثون عاماً من الدكتاتورية خلال ثلاثين ثانية، والوقت الذي قصدته الصحيفة هو الوقت الذي استغرقه إعلان نائب الرئيس السابق النبأ.

وتقول الصحيفة: إنه «بعد ١٨ يوماً من الاحتجاجات المتواصلة، قاوم خلالها الشباب المعتصمون في ميدان التحرير كل ما واجههم به النظام الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة، من البلطجية وإطلاق النار والاعتقالات، إلى قطع خدمات الإنترنت وشبكات الهاتف النقّال، وملاحقة وسائل الإعلام.. وبعد كل ذلك، استطاع الشعب المصري أن يوصل صوته في النهاية».

وتؤكد «الجارديان» أن «الثورة نفذها أشخاص عاديون يطالبون بعناد غير عادي بحقوق سياسية أساسية، هي: انتخابات حرة، وتشكيل أحزاب سياسية حقيقية، وقوات شرطة تلتزم بسيادة القانون ولا تقوّضها».

وتشير الصحيفة إلى الروح الوطنية التي سادت الثورة بالقول: إن «المسلمين والمسيحيين وقفوا فيها جنباً إلى جنب، ولم يُرفع فيها إلا العلم الوطني، وأظهر المصريون معاً أنهم إذا كان بإمكانهم قهر الخوف لديهم؛ فإن بمقدورهم أن يطيحوا بأعتى الدكتاتوريين».. وتختم الصحيفة بالقول: إن «مصير «مبارك» لن يمر مرور الكرام



«ديلي تليجراف»: فجر مصر الجديد

«جارديان»: ثلاثون عاماً من الدكتاتورية انتهت خلال ثلاثين ثانية

The Telegraph
HOME NEWS SPORT FINANCE COM
Blogs | Columnists | Personal View | Teleg
Comment
Egypt's new dawn









على جميع الدكتاتوريين الآخرين في العالم العربي وخارجه».

فجر جديد

وتحت عنوان «فجر مصر الجديد»، علقت صحيفة «الديلي تيلجراف» البريطانية في افتتاحيتها(٣) على ما جرى في مصر قائلة: إن «سقوط رئيس أقوى وأكبر دولة من حيث عدد السكان في العالم العربي يُعَدُّ حدثاً مهماً جداً، لكن عواقبه على بلد كان يعيش في ظل نظام الطوارئ منذ عام ١٩٨١م من الصعب فهمها».

وتضيف: إن «حقيقة الإطاحة بمستبد طال حكمه، في أعقاب الرحيل السريع نسبياً للرئيس التونسي الشهر الماضي، تعني أن الذعر سيتنامى في عواصم المنطقة، ومنها تل أبيب».. وتختم الصحيفة افتتاحيتها بدعوة الغرب إلى عدم التدخل في شؤون مصر.

أما صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية، فحللت الواقع في فلسطين قائلة: إن «المظاهر الاحتفالية انفجرت في شوارع غزة ليلة الجمعة، وقامت مليشيات ملثمة تابعة لحركة «حماس» بمسيرة عسكرية للاحتفال بتنحّي الرئيس المصري «حسني مبارك»، إلا أن «إسرائيل» تفاعلت مع النبأ بهدوء وقلق عميق، لأن القائد الإقليمي الأكثر اعتماداً عليه في المنطقة قد غادر فجأة».

وتضيف: إن «حكومة «نتنياهو» حافظت على الصمت المدروس الذي تبنّته منذ أكثر من أسبوعين، على فرضية أنه ما من تصريحات ستدلي بها قد تخدم مصالحها، فإذا أشادت بالتحرك الموالي للديمقراطية فقد يُنظر إليها كخائن للحليف «مبارك»، وإذا أيدته فسوف يُنظر إليها باعتبارها من أنصار الدكتاتوريات.. لكن وراء الكواليس، أعرب مسؤولون خفية عن استعدادهم لمشاطرة مخاوفهم؛ لاعتقادهم بأن أياً من كان خليفة «مبارك» فسيكون أقل وداً تجاه إسرائيل».

وتقول صحيفة «واشنطن بوست»: إن «الانتفاضة الشعبية في مصر انتصرت يوم الجمعة باستسلام «مبارك» لإرادة ثورة لا قائد لها، وتنحّى بعد ثلاثين عاماً من الحكم الاستبدادي لكِبَر دول العالم العربي من حيث السكان.. في لحظة من اللحظات، غمر المصريين إحساسٌ بأنهم قاموا بخطوة تاريخية، على قدم المساواة بسقوط حائط برلين وانهيار الشيوعية في أوروبا الشرقية، فالمنطقة مجرَّدة من الديمقراطية، ويخنقها القمع منذ وقت طويل.. وقد احتفل الشعب بالألعاب النارية، وأبواق السيارات، وبحر من الأعلام المصرية».

مواقف رسمية

أكد رئيس الوزراء البريطاني «ديفيد كاميرون» أنه ينبغي الانتقال إلى حكومة مدنية وديمقراطية في مصر، وقال: «كان هذا اليوم استثنائياً؛ حيث سنحت لمصر الآن فرصة ثمينة بأن يكون لها حكومة قادرة على توحيد البلاد».

ورحّب الأمين العام للأمم المتحدة «بان كي مون» بتنحّي «مبارك»، وقال: «لقد أسمع الشعب المصري صوته، وخصوصاً الشباب الذين يعود إليهم الفضل في تحديد مستقبل بلدهم».. وتابع: «في هذه اللحظة التاريخية، أجدد دعوتي إلى عملية انتقالية شفافة ومنظمة وسلمية».

ورحّبت المستشارة الألمانية «أنجيلا ميركل» باستقالة «مبارك»؛ باعتبارها تشكل «تحولاً تاريخياً».

وهنّأ وزير الخارجية التركي «أحمد داود أوغلو» الشعب المصري، معلناً أن «بلاده تأمل أن تؤدي استقالة «مبارك» إلى تشكيل حكومة جديدة تستجيب لتطلعات شعبها».

كما رحبت وزيرة خارجية الاتحاد الأوروبي «كاثرين أشتون» بتنحّي «مبارك»، وقالت: إنه «من الضروري تسريع الحوار الذي يقود إلى تشكيل حكومة ذات قاعدة تمثيلية واسعة، تأخذ في الاعتبار تطلعات الشعب المصري»، مشيرة إلى أن «احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية أمر جوهري، وينبغي أن تخضع كل الانتهاكات للتحقيق».

وأشاد الرئيس الفرنسي «نيكولا ساركوزي» بتنحّي الرئيس المصري السابق، ووصفه بـ«الضروري»، معرباً عن أمله في أن «تنظم السلطات المصرية الجديدة انتخابات حرة وشفافة، تنبثق منها مؤسسات ديمقراطية».■

الهوامش

(1) Robert Fisk: A tyrant,s exit. A nation,s joy
They sang. They laughed. They cried. Mubarak was no more
The Independent 12 February 2011

(2) Egypt: brave new Arab world
A triumph of the people,s revolution
Editorial - The Guardian, Saturday 12 February 2011

(3) Egypt,s new dawn
Telegraph View: The fall of Hosni Mubarak is a momentous event for the Arab world,s most populous nation
Daily Telegraph 11 February 2011

لندن: د. أحمد عيسى

الثورة.. مزيج من الصمود و« خفة الظل »






تاريخ انتهاء الصلاحية
25 يناير 2011


الحرية
ولادة
متعسرة
MUBARAK
ارحل


e g Y! P


فيس بوك Facebook
على كل ظالم against every unjust
انتهى
عصر الخوف


لو كان هوا إحنا
دكتوراه فى العناد معانا نوبل فى الصبر



كان الإعلام أقوى أسلحة الثورة المصرية، وكانت الكلمة هي ذخيرة المعركة مع نظام «مبارك»، الذي واجهها بالمصفحات والمدافع والقنابل! لكن الكلمة الصادقة انتصرت في النهاية لتثبت من جديد أن سلطة الكلمة أقوى من كلمة السلطان.. وقد بدأت ثورة الشباب في مصر بالكلمة على مواقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك» بشبكة الإنترنت، وعبر الرسائل القصيرة بالهواتف النقالة.

الإعلام.. أقوى أسلحة الثورة المصرية

«سلطة» الكلمة أقوى من «كلمة» السلطان

صلاح عبدالمقصود (*)

واجه نظام «مبارك» البائد أصحاب الكلمة بالقتل، ليسقط الشهداء والجرحى، ظناً منه أن قتل المئات سيردع الملايين، لكن الثورة اتسعت وانتقلت من الميادين إلى الشوارع، ومن العواصم إلى المدن والقرى.. وحاول النظام عرقلة عمل الصحفيين والمراسلين؛ حيث أقدمت عناصر الأمن والحزب الحاكم على تحطيم ومصادرة ثماني عشرة كاميرا تلفزيونية، واقتحمت العديد من مكاتب الفضائيات.. وأغلق مكتب قناة «الجزيرة»، وسحب التراخيص من مراسليها، وألغى تردداتها على قمر «نايل سات»، لكنه لم ينجح في إخفاء الحقيقة.

اعتقل ثمانية وأربعين مراسلاً، ومنع أكثر من ستين آخرين من العمل، وكانت عناصر الحزب تقف على بعض مداخل ميدان التحرير لمنع المصورين من الدخول.. ومع ذلك نجح الشباب في تأمين دخول العديد من مصوري الفضائيات وساعدوهم على اتخاذ مواقع مهمة للتصوير؛ بل قام الشباب أنفسهم بتصوير مشاهد القتل والدهس التي أقدمت عليها أجهزة أمن «مبارك» ومصفحاتها، وأرسلوها إلى الصحف والفضائيات؛ ليفضحوا جرائم الفرعون.

كلمة واحدة

وعندما فشلت القوة والإرهاب في المواجهة حاول «مبارك» أن يستخدم سلاح الكلمة، وألقى خطابه الأول مستخدماً العبارات العاطفية، التي ختمها بقوله: إنه سيعيش ما بقي له من أيام على أرض مصر، وإنه سيدفن في أرضها، وسيترك الحكم على ما قدمه للتاريخ.

ربما انخدع به بعضهم، لكن أثر الخطاب العاطفي تبدّد في اليوم التالي، بعد أن هاجمت فلول الأمن وعناصر الحزب الفاسد ميدان التحرير، حيث يعتصم الشباب، بالخيول والجمال، مدججين بالسيوف والسكاكين والعصي، ليسقط في هذه الموقعة اثنا عشر شهيداً وألفان وخمسمائة جريح.. وهنا تحول المخدوعون بالنظام إلى مؤيدين للثورة، وتضاعفت الأعداد التي خرجت في المظاهرات، بل دفعت الكثيرين إلى نصب الخيام في محيط ميدان التحرير، والمرابطة فيه إلى أن يسقط النظام.

«ارحل».. كلمة واحدة ذات دلالات كبيرة وواسعة، أطلقها الشباب في كل الشوارع والميادين، كما كانت الجملة الحاسمة: «الشعب يريد تغيير النظام» هي الملخص لبرنامج الثورة، الذي وعد المصريين بالتغيير والحرية والعدالة الاجتماعية.

قال الشباب كلمتهم لـ«مبارك»: ارحل! فحاول الالتفاف عليهم بأنه سيغادر موقع الرئاسة في سبتمبر القادم، فأعاد الشباب مطلبهم بعد أن فسّروه في هتافهم الشهير: «ارحل يعني امشي»!

وعندما تلكأ في الاستجابة، قالوا: إنه لا يفهم لافتاتهم، ربما لأنها مكتوبة بالعربية.. وقالوا هتافهم الآخر: «كلموه بالعِبْري لأنه لا يفهم العربية»، وهنا كتب الشباب كلمة ارحل بكل لغات العالم.. الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والصينية، بل والعِبْرية أيضاً وغيرها من لغات العالم؛ أملاً منهم في أن يقرأ أو يفهم، كما فعلها من قبل الرئيس التونسي المخلوع «بن علي».

نقابة الصحفيين

على مدى السنوات الماضية، كانت نقابة الصحفيين منبراً لقوى المعارضة والاحتجاج، وكان الكاتب الصحفي المجاهد «محمد عبدالقدوس» – رئيس لجنة الحريات بالنقابة – رأس الحربة في هذه الاحتجاجات.. وكم نظم أو ساعد في تنظيم مئات الاحتجاجات والتظاهرات على سلالم النقابة، بل أحياناً كان يقف وحده منددا بسياسات النظام، وفي يمينه مكبر الصوت، وفي شماله العلم المصري!

وفي اليوم الأول للثورة العظيمة، اشترك عدد من الصحفيين في انطلاقتها الأولى، وأقدم النظام على اعتقال عشرة منهم، إضافة إلى ٢٢٠ شاباً من المتظاهرين، وتواصلنا مع

(*) وكيل نقابة الصحفيين المصريين



سحْل الصحفيين على أيدي أمن الدولة
الصورة لـ«محمد عبدالقدوس»

أجهزة الأمن، فقررت الإفراج الفوري عن الصحفيين العشرة، إلا أنهم رفضوا الخروج إلا بصحبة الشباب، ونجحنا في إخراج الجميع في اليوم التالي.

في اليوم قبل الأخير من الثورة، وقبل يوم واحد من سقوط النظام، حدثني «محمد عبدالقدوس» بنبرة حزينة قائلاً: «لقد كنت طيلة أيام حياتي أتمنى الشهادة، وأدعو الله بها.. وفي يوم «جمعة الغضب» (٢٨ يناير)، وهو اليوم الذي سقط فيه حوالي ٣٠٠ شهيد، هاجمتنا المصفحات التي تسبقها قنابل الغاز والرصاص المطاطي، وعندما اقتربت مني إحداها جلست أمامها على الأرض معترضاً طريقها، فخرج منها الجندي مصوباً سلاحه؛ ليقتلني وأنا أنتظر! فإذا بقنبلة غاز تسقط إلى جواره فينشغل عني وتعود المصفحة أدراجها، وقد ضاعت مني فرصة الاستشهاد.

أكاذيب التلفزيون الحكومي

حاول «أنس الفقي» - وزير الإعلام المخلوع - التقليل من أمر الثورة، وبذل كل الجهد في تضليل المشاهدين والمستمعين وخداعهم، فأمر مصوري التلفزيون بتوجيه كاميراتهم إلى مدخل ميدان التحرير فقط؛ حيث يظهر عدد لا يتجاوز المئات من المتظاهرين، في الوقت الذي كان الميدان يحتشد بأكثر من مليوني متظاهر، وكانت نشرات أخباره تقول: إن بضعة آلاف يتظاهرون في ميدان التحرير مطالبين بإصلاحات اجتماعية، وتغافلت مطلب الرحيل أو تغيير النظام.

ودائماً ما كان يصف هذه المظاهرات بأنها

سبحان مغيِّر الأحوال!!

«الجماعة المحظورة» أصبحت في الإعلام الرسمي «جماعة الإخوان المسلمين» ذات الحضور القوي في الشارع المصري!

وسائل الإعلام الرسمية غيّرت مواقفها بعد رحيل النظام وأصبحنا نشاهدها ونقرؤها وهي تسبِّح بحمد الثورة!

بعض الإعلاميين والصحفيين غيّروا جلدهم في ساعة واحدة بعد سقوط الفرعون!

تتحرك وفقاً لأجندات خارجية، وأن الإخوان المسلمين هم الذين يحركونها لإحداث الفوضى في المجتمع.. لكن الحقائق ردت على الأكاذيب، وانصرف الناس عن مشاهدة أجهزة الإعلام الرسمية بعد أن فقدت مصداقيتها، لكنها استمرت في الكذب والتضليل والتشكيك، وهنا تحرك الشباب في اليوم الأخير من الثورة، وحاصروا مبنى التلفزيون وأغلقوه، ومنعوا العاملين من الدخول، ووضعوا عليه لافتة: «مغلق لحين إسقاط النظام»، تماماً مثل تلك اللافتة التي وضعوها على باب البرلمان، وسور مجلس الوزراء!

أما نقيب الصحفيين «مكرم محمد أحمد»، أحد فلاسفة النظام، فقد بذل جهداً كبيراً بحوارات عديدة وممتدة في مختلف الفضائيات، ومداخلات تلفزيونية وإذاعية، ومقالات صحفية، تصب جميعها في صالح النظام، مدعياً أن «نظام «مبارك» غير نظام «بن علي»، والذين يراهنون على نجاح الثورة التونسية وإمكانية تكرارها في مصر واهمون»، وظل يشكك في شباب الثورة متهماً إياهم بأنهم أداة في أيدي غيرهم.

أثار كلام مكرم مئات الصحفيين الذين كانوا يشيعون أحد شهداء الصحافة، وهو الزميل «أحمد محمود»، الصحفي بـ«الأهرام»، الذي لقي مصرعه أثناء قيامه بتصوير اعتداءات قوات الأمن على المتظاهرين أمام مبنى وزارة الداخلية.

جاء «مكرم» ليشارك في جنازة الشهيد، لكن الصحفيين واجهوه بهجوم شديد، متهمين إياه بالمشاركة في قتل الزميل بتأييده للنظام وأجهزته القمعية، وقام العشرات منهم بدفعه وطرده من النقابة، وهتفوا ضده قائلين: «الشعب يريد إسقاط النقيب»(!)، وبعدها تقدم أكثر من ثلاثمائة صحفي بطلب عقد جمعية عمومية لسحب الثقة منه.

وبعد..

لقد نجحت الثورة المصرية في تأكيد أهمية الإعلام من صحافة وتلفزيون، إضافة إلى الإعلام الجديد عبر الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي عبر الـ«فيسبوك»، ودور أجهزة التليفون النقالة في مواجهة إعلام الدولة الذي يمارس الكذب والتضليل.

وأجبرت الثورة وسائل الإعلام المصرية الرسمية على تغيير مواقفها، حتى أصبحنا نشاهدها ونقرؤها مسبِّحة بحمد الثورة، رافعة أبطالها في عليين، ومتحدثة عن فساد الرئيس وعائلته وحزبه ونظامه.. ورأينا بعض الإعلاميين والصحفيين، وقد غيّروا جلدهم في ساعة واحدة بعد سقوط الفرعون.

وأصبحنا نقرأ أو نشاهد الحديث عن الإخوان المسلمين يأخذ شكلاً جديداً من الاحترام والتقدير، فبعد أن كانت الجماعة توصف بالمحظورة أصبحت تُذكر بجماعة الإخوان المسلمين؛ أقوى تيارات المعارضة المصرية وأكثرها شعبية في الشارع المصري.. وسبحان مغيِّر الأحوال!■

أمرٌ عجيب قدرةُ الله العظيم، سبحانه إن أراد وأذن نرى عجباً، فقد كنا نرى الشعب المصري وقد استسلم تماماً لـ«الحيّة» التي كان يراها هائلة وقد التفّت حول جسده، وبدأت في التهامه فأصيب شبابه بالإحباط، وبدأ في إضراب مفتوح ضد كل ما يحيط به، عازفاً عن كل الأشكال والأنماط التي تقدمها له السلطة والمجتمع.. فهي السلبية إذن؛ السلبية المطلقة إلا ما رحم ربي سبحانه!

رأيتُ بعيني وسمعتُ بأذني في «ميدان التحرير»

ميدان التحرير: سمية رمضان (*)

بدت اهتماماته وقد أصبحت هامشية، بل كانت ثورته على والديّه وأهله والمحيطين به، وأصبح مشكلة تُضاف إلى الكم الهائل من المشكلات التي تجثم على صدور الجميع.. كانت الحياة تسير بلا طعم ولا رائحة، وقد بلغ حزن الشعب أقصاه، خاصة عندما انتزعت «الحيّة» منه عزته، وبدأت تعبث في كرامته، وأصبح يُهاجَم من كل مكان، ويُصنَّف بأنه يشارك مع «الحيّة» في التهام نفسه فتتقوى وتلتهم من حوله!

كانت حياة مليئة بالمعاناة النفسية التي فاضت عن النفوس، وحاصرتها من كل فوج وجهة.. ثم أذن المولى بأمر دخلٍ إلى سويداء النفوس، فأصبح ما يراه كبيراً قد تضاءل وصغر في عينيه، وهبّت الانتفاضة لتكبر وتتحرر من قبضة الحيّة الخانقة، وتحرَّر «المارد» ليمسكها بيديه بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من أن يلتهمه فكها!

وتحوّل كل شيء بأمر الله، وبدأ المارد خطواته الثابتة، التي سألنا الله سبحانه أن يختمها بخير لشعوب قاست الأمرَّين طوال عقود كثيرة ضاع فيها الكثير الكثير.. ذهبنا إلى هذه الثورة المباركة مدداً وعوناً للحق والخير، وما يأمرنا به ديننا ومبادئنا وما تعلمناه طيلة سنوات دراستنا، وقد رأينا وسمعنا ما نود أن تشاركونا فيه كما لو كنتم معنا.. ونبدأ من البداية.

يوم الغضب

يوم «الجمعة» ٢٨ يناير، الذي سجّله التاريخ فعلاً، وسيكون بإذن الله يوماً من أيام الأعياد الحقيقية.. في هذا اليوم، أصرت بعض الجامعات المصرية على عقد الامتحانات بالرغم من معرفتها مسبقاً بأمر يوم الغضب الذي أعلنه الشباب، ولكن المسؤولين في هذه الجامعات أرادوا أن يُظهروا أن كل شيء على ما يُرام، وأن كل شيء طبيعي و«تمام التمام»، غير عابئين بتوسلات أولياء الأمور أو وضعها في الحسبان أن تؤجل الامتحانات، خاصة

(*) أكاديمية متخصصة في القضايا التربوية والدعوية



أن هذا اليوم أيضاً يوم «جمعة» والمفترض أنه «عطلة».

ولكن، هكذا سارت الأمور: التحكم، وعدم مراعاة حياة الشباب، المهم مراعاة مصلحة النظام، وهي ثقافة اعتاد عليها كثير من أفراد شعبنا للأسف الشديد منذ زمن طويل.

عُقد الامتحان مع قلق أولياء الأمور والشباب، حيث كان أغلب الامتحانات بعد صلاة الجمعة، أي في لحظة انطلاق المظاهرات.. وبعد الصلاة مباشرة، انطلقت الثورة المباركة في كل مكان، وتأجل عندها الامتحان، ولكن ما الفائدة وقد فات الأوان؟! فالطلاب محاصَرون الآن، وقد دخل المتظاهرون إلى الجامعات ليتحصنوا من هذا



العنف الأسطوري لسحق شباب يتظاهرون بشكل راقٍ سلمي، رأيتُه بأم عيني.

ونزلت جحافل الشرطة بكل إمكاناتها ومعداتها للقاء «بني صهيون» - عذراً - للقاء الشباب العُزل، الذين يرددون: «الله أكبر».. ورأيت أمّاً مكلومة على ابنتها الطالبة التي أصر العمداء على نزولها لأداء الامتحان في تلك الأحوال العصيبة.. أتت مسرعة عندما علمت بالأنباء، وتجمّدت الدماء في جسدها عندما رأت هذا الهول، ولم تجد ابنتها بعد البحث وكأن الأرض قد انشقت وابتلعتها، فلا أحد يدري عن الفتاة شيئاً، ولا على كثير من الطلاب والطالبات غيرها، فقد هاموا على وجوههم في رعب مفزع وهم يرون الشرطة وهي تضرب بقسوة كل ما هو مشرق من مستقبل هذا الشباب المصري.

لحظة معبِّرة

بحثت المرأة في كل مكان عن ابنتها بلا جدوى، وعندها وأمام جامعة القاهرة، وفي الميدان وأمام جحافل الشرطة سمعنا صرخة مدوية من المرأة المسكينة وهي تنادي الله سبحانه بسقوط النظام، وكانت لحظة معبِّرة.. علمت حينها أن من قام حقيقةً بهذه الثورة هو النظام نفسه؛ نتيجة هذا الكبر وهذا البطش الذي تنوء من حمله الجبال، وما تعجبت له أن هذه الأم المكلومة أخذت تنادي الله سبحانه بأعلى صوتها، لدرجة أن صداه كان متردداً في الأرجاء، ثم رأينا عجباً.

فقد بدأت الشرطة في الانسحاب بشكل لا يصدق، وكأننا نشهد قصة محبكة وليس واقعاً ملموساً، وأخذنا نسأل بدهشة بالغة: هل انتهت المظاهرات؟ هذا ونحن نحاول إبعاد الهاتفات عن أسماعنا، وأخذنا نلح في السؤال: ما سبب هذا الانسحاب المفاجئ؟ وتطورت الأحداث، فالشباب وقد غيَّرهم

تم رش المياه على الشباب في البرد الشديد فلم يتزحزحوا بل تزايدوا واصطفوا للصلاة في مشهد سيظل محفوراً بالذاكرة

سيدة مسنّة لم تجف دموعها كانت تتردّد يومياً بحثاً عن فلذة كبدها الذي اختفى منذ «جمعة الغضب»

الرحمن لما تقضي به مشيئته سبحانه، قد تحولوا إلى شجاعة وإقدام الأسود، يتقدمون بالآلاف بعد أن عانوا ما عانوا، وقد ثبتهم الإله، ورأينا صلاتهم ورشهم بالمياه في هذا البرد الشديد فلا يتزحزحون بل يتزايدون ويصطفون للصلاة، في مشهد قد حُفر بالذاكرة شاهداً على أن الله هو المهيمن على القلوب، وأن الخروج له يرسم مثل هذه المشاهد الرائعة، عندها اطمأنت القلوب أن الشباب يخطون خطوات تؤدي إلى النصر إن شاء الله.

في ذلك اليوم، استُشهد الكثير، واعتُقل الكثير، واختفى الكثير.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز القدير، وانقضى اليوم الطويل في أحداثه، وفاز من فاز وخسر من خسر، وتوالت الأحداث بعد ذلك سريعة متلاحقة لا نكاد نحصي تبعاتها.

ميدان «الشهداء»

وأتى يوم الثلاثاء، يوم الملايين، واحتشد الشباب؛ فترى منظراً عجيباً وقد انخرط كبار السن جنوداً لشباب يكنّون لهم المحبة والتقدير والإعزاز، وقد رأيت بعيني رجالاً يبدو عليهم الثراء والاحترام وقد أمسكوا بمكانس ينظفون

بها «ميدان التحرير»، ويحاول الشباب أن يقوموا عنهم بهذا العمل وهم يصرون، رأيت رجالاً وقد حملوا في جلبابهم المياه لينقلوها إلى الشباب في مواقعهم، والشباب في حرج من عمل الشيوخ، وكل منهم يقبّل رأس الآخر، لوحة سيسجلها التاريخ بحروف من الماس والزبرجد والياقوت.

ثم نأتي لأصعب الأيام وأشدها على محرري مصر من «ميدان التحرير»، أقصد بذلك يوم «الأربعاء»، بعد ثمانية أيام من بداية الثورة المنصورة؛ حيث رأيتُ أثناء دخولنا أن الشباب قد نظم نفسه على مداخل الميدان لرؤية الهويات مع التفتيش الذاتي، وقد تطوع لهذا العمل شباب وشابات من البنات والفتيان وهم في حماسة منقطعة النظير، وعمل مضنٍ يتقبلونه بكل حب وشكر لله على فضله عليهم.

أثناء دخولنا – كما ذكرت – كانت تقف في الصف امرأة كبيرة في السن لا تجف دمعتها، تأتي يومياً للبحث عن فلذة كبدها الذي اختفى منذ يوم الغضب، أخلينا لها الطريق لتمر ونحن ندعو لها، فالمفقودون بالعشرات، ولا يدري أحد سوى الله أين ذهب بهم هذا العهد البائس المفتقر إلى الرحمة.

دخلنا إلى «ميدان الشهداء» (كما يسمونه حالياً)، ورأيت أباً وأماً يحملان لافتة مكتوب عليها: «سفاح قاتل»، والأب يردد بصوت مرتفع مؤثر: «سفاح قاتل»، ولا يردد سواها، والكل يحنو عليه ويحاول إيقافه ليهدأ قليلاً فيزداد في صرخاته: «سفاح قاتل»، فسالت دموعنا مدراراً رجالاً ونساء وشيوخاً، وزوجته تخبرنا بأنه والد شهيد قُتل غدراً وما أكثرهم، وفي هذا اليوم أخذ عدد ممن ظلوا طوال اليوم في الميدان يذهبون إلى بيوتهم للراحة، والشباب في العادة يأتون بعد صلاة الظهر.

بسالة وصمود

وما هي إلا لحظات، وسمعنا التكبير ورأينا الخيول وجحافل لا عهد لنا بها يركبون الجمال ويُلهبون الظهور بالسياط، وحدث هرج ومرج، ونادوا على الشباب بالثبات وحماية النساء والأطفال، وقد رأيت بنفسي طفلة رضيعة تُدعى «جويرية» وأخواتها الخمس اللاتي يكبرنها ليس بكثير من السنوات، واستبسل الشباب استبسالاً لا يمكن أن يكون إلا بمدد من الله الملك العظيم، فلم تنقض الساعة إلا وقد أوقعوا راكبي الخيول والجمال أرضاً، وأخذوا حصاناً أركبوا عليه الشيخ الفاضل «صفوت حجازي»، الذي أخذ يجمع الشباب ويعلو صوته بالتكبير والنفير للدفاع عن النفس، وهو يردد: «سلمية سلمية».

وفُتحت علينا أبواب الجحيم من كل اتجاه من أكثر من مدخل يؤدي إلى ميدان التحرير، وقد حاصره البلطجية حاملو الأسلحة البيضاء والحجارة و«المولوتوف» الذي يلقونه علينا من فوق الأسطح على شباب أغلبه جامعي من الطبقة المتوسطة والراقية – كما يقولون – غالبية يومه على «النت»، لم يواجه أصلاً مثل تلك المواجهات، ولا رأى هذه الوجوه الغريبة عن الشعوب الإسلامية.

ولكن هتاف «الله أكبر» الذي كان يصعد إلى عنان السماء جعل الشباب يثبتون، كل مجموعة على مدخل لا يملكون إلا إيمانهم، وقد تحصنوا بحصون بدائية جداً، وعندما لمسوا في البلطجية الإصرار على إيذائهم؛ بدؤوا في الدفاع عن أنفسهم ببعض الحجارة.. نظرت إلى الميدان فوجدتُ العدد فيه قليلاً جداً، وقد ذهب من فيه من الشباب إلى المخارج يتحصنون، وطلبوا من النساء والأطفال الخروج بسرعة، فأصرّ الجميع على الموت مع أولادهم وآبائهم ورفضوا أن يخرجوا سالمين.

وفتح الشباب دار المناسبات في مسجد «عمر مكرم» للنساء والأطفال، ووقف بعضهم على الباب يحرسون ويدافعون.. حملت الفتيات المياه للمرابطين على خط المواجهة، وبدأ الطعام في النفاد، وبدأنا نجمع ما بقي معنا من فتات الطعام للشباب الصامد ليعينه على الاستمرار، وقد رأيت أصبعاً من العجين بالعجوة يُقسَّم على أربعة من أفراد الشباب، وسمعت الأطفال يصيحون من الجوع والأمهات لا يدرين ما يفعلن وهن يسمعن صوت التكبير وصوت العراك!

ثورة سلمية

رأيت بنفسي – وقد جاوزت الخمسين من عمري – جيلين مختلفين وإن تقاربت أعمارهما، مختلفين من حيث المبدأ والغاية والهدف وردود الأفعال وطريقة التخطيط وأسلوب التنفيذ، فالشباب يقدم نفسه مرضاة لربه وفداء لأهله، معظمه متعلم مثقف منفتح على أساليب وتكنولوجيات العصر؛ مسالم أعزل، عدده قلّ بعد مغادرة الكثيرين لأخذ قسط من الراحة بعد عناء اليوم السابق.

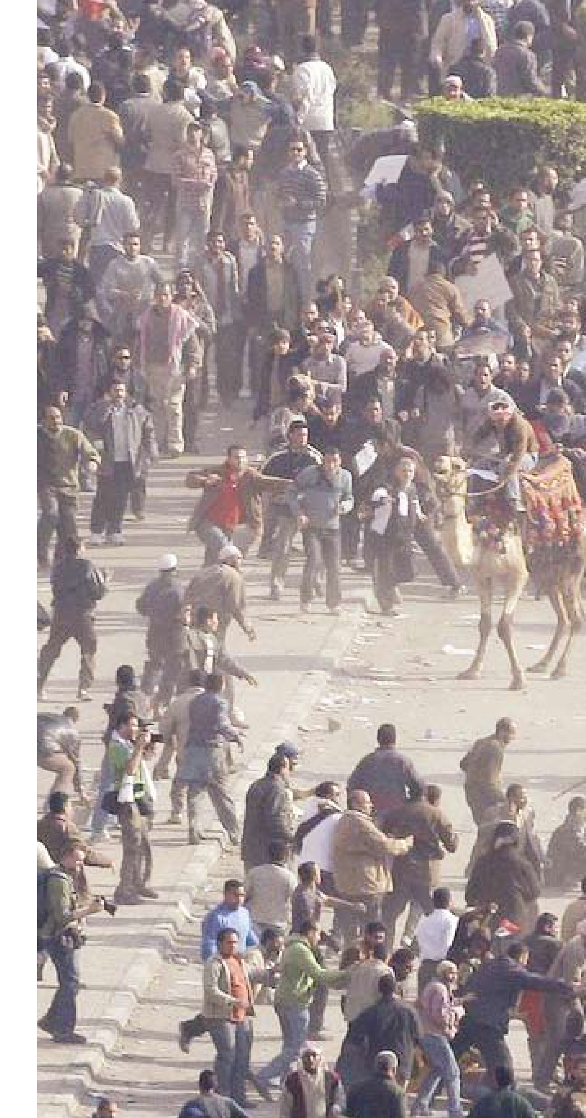
كان هتاف «الله أكبر» يصعد إلى عنان السماء فيثبِّت الشباب أمام بلطجية النظام.. رغم تحصّنهم بحصون بدائية

فتح الشباب دار المناسبات بمسجد عمر مكرم للنساء والأطفال.. ووقف بعضهم على الباب يحرسون ويدافعون

لم يبدأ الشباب باعتداء، ولم يفكر أصلاً في عدوان، وأمامه عدو جاء خصيصاً لكي يستأصل شأفته ويقضي عليه، مجموعة من البلطجية لا هدف ولا غاية ولا مبدأ ولا خُلق، جاءت بأعداد كبيرة متزايدة لقاء نفع مادي تافه ووعود زائفة، جاءت لكي تواجه ذلك الشباب بالسيوف والسنج والسلاح الأبيض والطوب الذي لا نعلم من أين أتوا بهذه الكميات الهائلة منه، إذاً فالقوى المادية غير متكافئة على الإطلاق!

عندما رأيت ذلك، قلت لأحد الشباب: «يا بني، هناك كرّ وفرّ، ويجب أن نخرج لعدم إرباككم، وللمحافظة على حياتكم»، فقال لي وهو يبكي: «يا أماه لا تحبطينا، نريد التشجيع»، فوجدت نفسي أهرول إلى الخطوط الأولى للمناوشة، وأصيح في الشباب: «إنما النصر صبر ساعة، اثبتوا يا شباب مصر، إنما النصر صبر ساعة»، فقد علمت أن هذا الحماس وهذا التفكير لابد وأن يكون بإذن الله في النهاية منتصراً.

وهنا تقدم أحد الشباب راجياً أن نذهب



ونحتمي بالمسجد ونحن نأبى، حتى جاء أحدهم وهو يبكي قائلاً: «أرجوك يا أمي، لو حدث لك مكروه ورأينا الدم يتقاطر منك لا ندري حينها ماذا سيكون رد فعلنا، فساعدينا على أن تكون ثورة سلمية».

مدد وتثبيت

كان الشباب الجرحى يتوافدون من خط المواجهة بالمئات، وكلما رأى أحد الدماء تتقاطر؛ كان الحماس يعلو والثبات يزداد، وبدأ كثير من النساء يتصلن بذويهن يطلبن النجدة ومدداً من الشباب، وكانت ليلة عجيبة ظهر فيها مدد الله ورعايته لهذه الثورة المنصورة.

وخرجت بعض النساء عندما علمن أن البلطجية قد أعياهم شرب الممنوعات والمخدرات عن الوقوف، فخشي الجميع على الأعراض لو وصل هؤلاء البلطجية إلى النساء، ولكن بعضهن أبين الخروج وأصررن على البقاء!

بدأ الأبطال من شباب مصر وقد علموا بخطورة الأمر يتوافدون فرادى على ميدان

الشباب الجرحى توافدوا من خط المواجهة بالمئات.. وكلما رأى أحد الدماء تتقاطر كان الحماس يعلو والثبات يزداد

المفقودون بالعشرات ولا يدري أحد سوى الله أين ذهب بهم ذلك العهد البائس المفتقر إلى الرحمة

التحرير بعد أن مُنعت الحشود من الدخول، ومع نسمات الفجر الأولى والأرض تشرق بالنور، وقد استنفد البلطجية ومن أرسلوهم جميع الأوراق التي استُخدمت من قبل مع شباب مصر ولم تفلح معهم، وقد علموا أنهم يواجهون طرازاً مختلفاً تماماً، فغالبية الشباب لا يخرجون من بيوتهم إلا وقد اغتسلوا غُسل الشهادة، وتعطروا وصلوا ركعتين لله يهبون فيها أنفسهم للملك الحق.

أقول: عندما أعيتهم الحيل؛ بدأ القتل العمد بالرصاص الحي مع سبق الإصرار والترصد لشباب كالورود النضرة الذكية الرائحة، وتساقط الشهداء شهيداً تلو الآخر، فردد الشباب الشهادة وألقوا بأنفسهم إلى جنة عرضها السماوات والأرض عند إله عادل يشكون إليه ظلم العباد.

هدف واحد

فشل البلطجية في مسعاهم وانتصر الشباب على أنفسهم وعلى الشيطان، وكنت أنا مع من خرج من النساء في الليل خوفاً على ابنتي التي كانت تصحبني، وحتى يتسنى لي أن أروي لكم ما كان يحدث خارج الميدان، فقد كانت اللجان الشعبية تقف في كل مكان تقريباً، شباب مصر لا يعرف أحدهم الآخر، ولا يلتقون إلا على هدف واحد هو حماية البلاد، وقد خرجنا من مخرج حاول أن يدخل منه البلطجية إلى ميدان التحرير، فلقنهم أبطال اللجان الشعبية درساً لن ينسوه طوال حياتهم، ولعل يكون لبعضهم منه توبة.

بعد أن رجعت إلى بيتي استقبلني ابني وهو يسألني عن الوضع بدقة، وعندما رويت له الوضع وأن الميدان به عدد قليل والإصابات كثيرة وهناك قتلى شهداء بإذن الله، والشباب وحدهم وأتصور أن المعركة ستحتدم وسيحاول البلطجية أن يقضوا على الموجودين، فما كان منه إلا أن دخل واغتسل وصلى ركعتين وجاء يودعني.

في حقيقة الأمر، أصابتني الدهشة، كيف استطاع أن يقرر ذلك والأمر خطير جداً حياة أو موت، فرد قائلاً: «بالله يا أمي، لا تثبطيني»، فسقط الأمر من يدي وانعقد لساني، وعلمت أننا قد ربينا أولادنا على مبادئ باللسان والكلام ولم ننفذ منها شيئاً ملموساً، وأراد الله أن يكونوا هم المنفذين.. وذهب ولدي وأنا لا أكاد أصدق ما أرى وما أسمع، فتحت أحاديث البخاري لعلّي أجد عوناً من كلمات رسول الله ﷺ في مثل تلك الأحوال، ووجدت بغيتي في قوله ﷺ:

«والله لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدّقنا ولا صلينا

فأنزلنْ سكينةً علينا ... وثبِّت الأقدامَ إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا»

فرصة عظيمة

طوائف من الشباب أصبحوا يلتقون في المساجد للصلاة، حتى يرتبوا أوراقهم ويُحكموا خطتهم، كثير منهم كان مبتعداً عن الثقافة الإسلامية، وقد سمعت بنفسي أحدهم بعد الصلاة وهو يحث الشباب على الثبات، حيث إنهم قد ارتكبوا الكثير من الذنوب، وقد أعطاهم الحق سبحانه فرصة عظيمة إلى التوبة والمغفرة.

إن هذه العيون التي رأت الكثير من المنكرات قد آن لها أن تدخل الجنة إن باتت تحرس في سبيل الله، وإن القدم التي سارت بعيداً عن الله آن لها أن تساعدنا على دخول الجنة لو غبرناها في سبيل الله.. هو لا يحفظ الأحاديث، ولكنه يشرح معناها بشكل عفوي معبِّر، قد جمع الله به حوله القلوب والأجساد.

وهكذا، بعون الله ثم همة هؤلاء الشباب، وصلنا ليلتها سالمين، ودموعنا تذرف على الشباب الذي يساوي جزء من ظفر أحدهم ما نراه من هذا العبث وهذا الكيد الذي تزول منه الجبال.. وانبثق الفجر تلو الفجر، إلى أن فرحنا بالنصر بمشيئته تعالى، وصدق سبحانه إذ يقول: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾(هود)، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾(الأنعام).■

ثورة ٢٥ يناير أو انتفاضة شباب الـ«فيسبوك».. صورة رُسمت بدماء الشهداء وآلام الجرحى، تلاحقها هرولة المسعفين وابتهالات الداعين بالقبول لمن رحل، وبالثبات والنجاة لمن ينتظر، وهتافات ارتفعت لتعلو فوق صوت الرصاص ووقع جنازير الدبابات تعلن أن لا مكان للخوف بعد اليوم، وخفقات قلب وأماني تتأرجح صعوداً وهبوطاً مترقبة هذه العدسة أو تلك لعلها تلمح ما يسكّن روعتها أو يأذن لجفونها أن تُسدل على مقلتين أرهقهما طول الانتظار.

المصريون دعموا ثورتهم وتحدّوا الأزمة بالتكافل الاجتماعي



القاهرة: إيمان يس

وهناك في الأفق غير بعيد أحزاب تُفاوض؛ تقبل وترفض، تشجب وتطالب، تجتهِد فتخطئ أو تصيب، ومن بينهما صورة أخرى تتفتق بابتسامة مشرقة تعلو لتنير وجه مصر الحزين، وتنثر على أرجاء المعمورة أريجها لتعلن للعالم عن انتفاضة لم تهدم عروش الطغيان فقط، لكنها نفضت التراب عن معدن هذا الشعب الأصيل الذي اصطفاه الله ليكون خير «أجناد الأرض».

وفي إحدى زوايا هذه الصورة المشرقة، نلمح «أماني» - فتاة عشرينية من أبناء الطبقة الأرستقراطية - أرسلت الخادمة مع السائق لشراء الخضراوات اللازمة لمواطني حي المهندسين الذي تسكن فيه لتحافظ على ثبات الأسعار كي لا يتذمر أحدهم من الثورة.

تقف «أماني» وفي إحدى يديها مكبِّر صوت لتنادي على الجميع: «أخي المواطن.. استغلال الأزمات خيانة.. لا تسمح لأحد باستغلالك»، وفي اليد الأخرى مفاتيح سيارتها الفارهة التي ملأتها بأكبر كم من الخضراوات لتجوب شوارع الحي منتظرة في كل منها حتى يأخذ الناس كفايتهم.. وإلى جانب «أماني» تقف خادمتها التي لم تنسَ أن تُحضر الميزان كي يأخذ كل ذي حق حقه.

وتؤكد «أماني» أنها قامت بهذا العمل بمبادرة فردية، فهي لا تنتمي إلى أي حزب، كما أنها أجابت عما إذا كانت تخشى على سيارتها بأنها «فدا مصر»، وابتسمت وأومأت بكتفها أنها لا تبالي.

وأضافت: «لم أكن أتوقع أن تلقى الفكرة هذا الإعجاب، فقد استقبلني الجميع بالترحيب والحفاوة المصرية المعهودة، وقدموا لي المشروبات، وأصر بعضهم على استضافتي لكني اعتذرت، فالوقت ضيق وأنا أسعى للوصول إلى أكبر عدد ممكن قبل بدء ساعات حظر التجول».

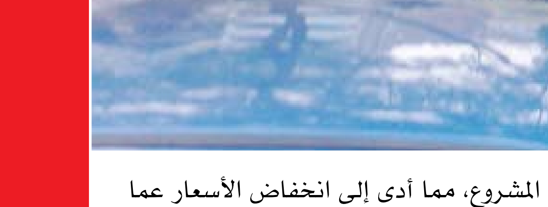
وقد سارع الناس إلى «أماني» ليس فقط للشراء منها بل أيضا لمعاونتها والاقتباس من فكرتها، فعزمت «روضة» - ربة بيت - على توفير الخبز لسكان شارعها، بينما تعاهد بعض الشباب على توفير سيارة نقل متوسطة الحجم لتوفير الخضار والمواد التموينية لقطاع أكبر وبتنوع وكميات أفضل.

ولم يخرج عن هذه الصورة المشرقة تجار الجملة؛ فقد باعوا السلع لهؤلاء الشباب بأسعار التكلفة مساهمة منهم في نجاح

الشباب وفّروا المواد الغذائية بأسعار التكلفة.. والتجار وسائقو التاكسي أثبتوا وطنيتهم الصادقة







«أماني» فتاة عشرينية من الطبقة الأرستقراطية اشترت عبر سائقها وخادمها الخضراوات اللازمة لمواطني حي المهندسين لتحافظ على ثبات الأسعار

وقفت وفي يديها ميكرفون لتنادي على الجميع: أخي المواطن.. استغلال الأزمات خيانة.. لا تسمح لأحد باستغلالك

المشروع، مما أدى إلى انخفاض الأسعار عما كانت عليه قبل الأزمة.

إطعام محدودي الدخل

ومن تكافل أبناء الحي إلى «حملة إطعام محدودي الدخل»؛ صورة أخرى يبرز فيها ثلاثة شبان.. يقول «أحمد شرارة» (٢٣ عاماً): «هناك الكثير من أصحاب المهن البسيطة الذين يتقاضون راتبهم بنظام اليومية، هؤلاء جميعاً بدون دخل الآن، فكيف لنا أن نطالبهم بالتفكير في التغيير أو حتى الصبر عليه».

وأضاف مبتسماً: «هؤلاء إن لم يجدوا ما يأكلون فسيثورون علينا لا معنا، فهم ممن قال الله عنهم ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾(البقرة:٢٧٣)، فهم لم يعتادوا التسول والخروج إلى الشوارع ولا يمكنهم ذلك، فكان

..سارع الناس لمحاكاتها وانتشرت الفكرة.. تجار الجملة تعاونوا وباعوا بسعر التكلفة وسائقو سيارات الأجرة ساهموا مجاناً

جروب على «الفيسبوك» جمع خلال يومين فقط ٢١ ألفاً و٥٠٠ جنيه لمساعدة عمال اليومية الذين تعطلوا عن العمل

لا بد لنا من حل، وجاءت الفكرة بعمل «جروب على الفيسبوك» أشرف عليه أنا واثنان من أصدقائي؛ يهدف إلى مساعدة هؤلاء لتجاوز الأزمة، فكانت المفاجأة أننا استطعنا أن نجمع ٢١٥٠٠ جنيه خلال يومين فقط».

ومرة أخرى يبرز دور تجار الجملة، فقد استطاع «شرارة» الحصول على المواد التموينية بأسعار خاصة، كما وافق الموردون على تأخير نصف ثمنها لحين تحسُّن الأوضاع، وتطوعوا أيضاً بتغليفها كي يسهل توزيعها على المستفيدين.

وبنبرة ملؤها الفخر والتفاؤل، يتحدث «شرارة» عن تسابق الجميع للمساهمة، فهذا يريد أن يتطوع لنقل الحقائب في سيارته، وثلاثة يتنافسون في التبرع بمخزن، ومن يعاني من أزمة سيولة بسبب إغلاق المصارف يساهم بما يملك من مواد تموينية، حتى أن أحد تجار الطيور ساهم بـ(٢٠٠) دجاجة.

ولم يغب عن المشهد فئة سائقي سيارات الأجرة، فقد رفض كثير منهم أخذ الأجرة خاصة من الشباب المشاركين في المظاهرات.. يقول «حسام» (طالب ثانوي): «تأخرت كثيراً على موعد التجمع لانطلاق المظاهرة؛ مما اضطرني إلى استقلال سيارة خاصة حتى «ميدان التحرير»، وتوقعت أن تكون الأجرة ٣٠ جنيهاً، وهو مبلغ كبير نسبة إلى مصروفي المتواضع، لكن ليس أمامي حل آخر.. وبدا عليَّ الاضطراب، فقد كنت أخشى أن ينطلقوا بدوني، فسألني السائق قائلاً: لماذا يبدو عليك القلق؟ فأجبته: بأني أريد الوصول بأقصى سرعة كي أتمكن من اللحاق بالمظاهرات فابتسم وسكت، وعندما وصلت رفض تماماً أن يتقاضى الأجرة، مؤكداً أنها مساهمة منه في دعم الشباب الذي يريد الحرية لمصر».

إسعاف وإطفاء

ومن سيارات الأجرة إلى سيارات الشباب الفارهة ذات الموسيقى الصاخبة، يختلف الشكل وتتوحد الأهداف، فقد أدهش هؤلاء الشباب الجميع عندما حوّلوا سياراتهم إلى ما يشبه سيارات الإسعاف لنقل المصابين والمرضى للمستشفيات، ولتقديم الإسعافات الأولية للمتضررين في أحداث الأزمة.

ومن القاهرة إلى مدينة السادس من أكتوبر، حيث اندلع حريق هائل في واحد من أكبر مراكز تسوق المواد الغذائية في مصر «هايبر وان»، وتضاربت الأقوال بين من يرى أنها بفعل فاعل؛ لأن صاحب هذا المركز التجاري كان يبيع بأسعار عادية، وهناك من لا يريد الاستقرار لمصر، ومن يرى أنه ليس أكثر من تماس كهربائي عادي، إلا أن هذا الاختلاف لم يمنع الأهالي من التكاتف في إطفاء الحريق بكل ما يملكون من قوة.

ويقول «عبدالرحمن» أحد شهود العيان: إنه قام وكثيرون غيره بتقديم عرض لصاحب المركز، بأن يتعاون جميع مواطني المدينة لإعادة بناء المركز مقابل أن يحصلوا على تخفيض ٥٪ على المبيعات فيما بعد.





سيارات فارهة تحوّلت إلى عربات إسعاف لنقل المرضى وتقديم الإسعافات الأولية للمصابين في أحداث الثورة

أطفال الشوارع والمسنّون

وفي حي «الروضة» حيث تسكن «نهلة» – صاحبة دار لرعاية أطفال الشوارع – التي قالت: «رغم كل الظروف، كنت حريصة على سير العمل في المركز بشكل طبيعي؛ كي لا يلجأ الأطفال إلى الشوارع في مثل هذه الظروف، وبما أنه ليس لديَّ مكان يكفي



لكل هؤلاء الأطفال، فقد كنت في الأيام السابقة أعرض على الأسر البسيطة أن تستضيف أحدهم ليقضي الليل فقط في منزلها مقابل سبعة جنيهات، وقد فوجئت في هذه الظروف بأُسَر أكثر تعرض عليَّ من تلقاء نفسها أن تستضيف طفلاً أو اثنين، ليس فقط للمبيت بل طوال اليوم حتى تنتهي الأزمة».

ولم يختلف دور «نهلة» عن دور جميع العاملين في «دار هداية لرعاية المسنين»، حيث يقول «محسن» أحد القائمين على الدار: «بفضل الله، لم يتخلف أيٌّ من العاملين عن الدار طوال الأيام السابقة، كما أنهم تعاونوا لتعديل مواعيد العمل لتتناسب مع حظر التجول حتى يجد المسنون دائماً من يقوم برعايتهم، ورغم أن هذا أدى إلى زيادة الضغط على موظفي الفترة المسائية الذين كانوا يضطرون للحضور قبل موعد حظر التجول بفترة تكفي لعودة زملائهم في الفترة الصباحية إلى منازلهم، إلا أن أحداً لم يتذمر أو يشكو، بل إنهم هم أصحاب الاقتراح».

ومن «دار هداية» إلى «جمعية رسالة» التي أعلنت عن فتح باب التبرع بالدم استجابة لنداء المستشفى الميداني الذي أقامه «شباب التحرير»، تقول «د. شيماء»: «رغم أننا نعمل في هذا المجال منذ عدة سنوات، وعادة ما تلاقي حملاتنا قبولاً كبيراً، إلا أن الإقبال هذه المرة كان «غير عادي»؛ مما اضطرنا إلى الاعتذار لكثير من المتبرعين حتى نتمكن من الوصول إلى ميدان التحرير قبل موعد حظر التجول».

وتضيف مؤكدة: «لدينا التزام دقيق بأعلى المعايير في شروط المتبرع، فحتى من سبق له علاج أسنانه في مدة تقل عن ستة أشهر كان يُعَدُّ غير لائق، وقد عاد الكثيرون يبكون؛ لأنهم لن تختلط دماؤهم بدماء أبطال التحرير».■

جمعية الإصلاح الاجتماعي:

نبارك نجاح الشعب المصري في ثورته.. لتعود مصر قائدة للأمة

أصدرت جمعية الإصلاح الاجتماعي بياناً حيّت فيه الثورة الشعبية المصرية ضد الاستبداد والظلم والفساد الذي ساد البلاد خلال حكم النظام المصري طيلة الـ٣٠ عاماً الماضية.

وقالت: إن الجمعية وقد كانت ترقب بإجلال ثورة الشعب المصري بكافة فئاته ومكوناته ضد الاستبداد والظلم والفساد، الذي ساد البلاد خلال حكم النظام المصري طيلة الـ٣٠ عاماً الماضية؛ مما حدا بالشباب المصري أن يهب ومن وراءه القوى الشعبية وكافة فئات الشعب وأطيافه هبة رجل واحد، مطالباً برحيل هذا النظام، فإنها تحيي هذا الشعب البطل وهذه الثورة المباركة، وتدعو لشهداء الثورة بالرحمة والرضوان، وتبارك للشعب المصري البطل إزاحة ذلك النظام الظالم وتحقيق مطالبه، بعد تلك الوقفة الشجاعة التي وقفت لها شعوب العالم بإجلال وإكبار.

وإننا لندعو الله جلّ وعلا أن يوفق الشعب لتحقيق مراده النبيل وغايته السامية، بنظام حكم جديد يحقق العيش الكريم والعدالة الاجتماعية، ويفك القيد عن الحريات، ويقوم على مبدأ المشاركة السياسية في الحكم، والتداول السلمي للسلطة.

وأضافت الجمعية: ينبغي علينا أن نشارك الشعب المصري فرحته بتحرره ونجاح ثورته، لتعود مصر قائدة للأمة نحو فجر جديد من العزة والكرامة.

وينبغي لقادة الشعوب العربية والإسلامية، أن يدركوا أن استقرار مجتمعاتهم إنما يتحقق بترسيخ العدل وسيادة الحق، وتحقيق المشاركة الشعبية في الحكم بنزاهة وشفافية.

الحركة الدستورية:

ما حدث درس لكل مستبد

ومن جانبه، قال د. ناصر الصانع الأمين العام للحركة الدستورية الإسلامية بالكويت: نهنئ الشعب المصري الشقيق على نجاح ثورته الحضارية والسلمية المستحقة، وما حدث درس لكل الأنظمة المستبدة التي تحارب الديمقراطية أن تدركه جيداً.

ونتمنى أن يكون الجيش المصري أميناً على مطالب الثورة بالانتقال لحكم شعبي ديمقراطي حر.■

الآن.. يجب على كل من أساء لمصر ولشبابها وأهلها أن يعتذر.. يجب على كل من وصف هذا الشعب العظيم بالخنوع وقبول الذل والجبن أن يعتذر لهذا الشعب الحضاري.. لقد صاغ الشعب المصري العظيم واحدة من أروع الثورات، وألهموا العالم أجمع وحي الحرية، وقدموا للبشرية أنموذجاً راقياً في التغيير، حتى شهد لهم العالم كله، حبيبهم وعدوهم، القاصي منهم والداني، القاسي عليهم والحاني، فاستحقوا بذلك أن نسمّي صنيعهم بـ«هرم مصر الرابع».

هـذي كنانتكم



د. سمير يونس(*)

dr_samiryounos@hotmail.com

إنها لحظة تاريخية عظيمة، نحمد الله سبحانه وتعالى أن أحيانا حتى نستنشق عبيرها، فقد أثبت أبناءُ النيل للعالم أجمع أنهم من أكثر شعوب الدنيا حضارة، حيث قاموا بثورة شعبية بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، دون أن يريقوا دماً، أو يرموا بحجر على من ظلموهم، وعلموا البشرية كيف يحافظ الغاضب على مؤسسات وطنه وأهل بلده.

أغاثوا الملهوف، وأمَّنوا الخائف، وأطعموا الجائع، وحموا عرين الوطن، ودافعوا عن المواطنين عندما هاجم البلطجية والمجرمون الأبرياء، بدافع وترغيب ممن خانوا وطنهم، وباعوه بثمن بخس، وأطلقوا على أهلهم الخيل والبغال والحمير يركبها الجهلة والمجرمون ليروعوا الآمنين.

صبَرَ الأبطالُ وصمدوا في وجه الطغيان، لينهي شعب مصر سنين البغي والإذلال والتعذيب، نادتهم حبيبتهم مصرُ أرض الكنانة وأم الدنيا فلبُّوا النداء.

ولله در الشاعر حامد العلي، وهو يجسد هذه الثورة المباركة، فأنشد قائلاً:

شعب يـثـور فَـتَـصْـلَـى نــارَهُ الظُّلَمُ
والظُّلْمُ والضَّيمُ والعدوان والألـمُ
شعبٌ يـثـورُ فـلا يَـبْـقَـى بثورته
بَـغْـيٌ وذل وتـعـذيـبٌ ومُـنْـهَـضـمُ
لـلـه درُ رجــال الـنـيـل إنـهــمُ
كـأنما الـعـزُّ يَـبْـقَـى شـارةً لـهـمُ
ما أروعَ الـشـعـبَ بـالإيـمـان نهضتُه
والـعـزْمُ مُـتـحـدٌ والـهـمُّ مقتحم
ما أجملَ الوطنَ المظلوم منتفضاً
وأنـفُـهُ بـوسـام الـعـزِّ مـتَّـسـمُ
إني أرى مـصْـرَ تُـذْكـي نـار ثورتها
فَـأَقْـسِـمُ: الـنـارُ بالطغيان تضطرمُ
كـأنما الـبـدء بـالـتـغـيير صنْعتُها
فمصرُ تَبْنيه أو يَهْوي وَيَنْهَدمُ
قـامـت كـنـانَـتُـنـا لـلـخلق قـائـدة
فـمـصـرُ تعلو فتعلو بعدها الأممُ
وأطـلـقَـتْ ثـورةً لـلـعدل غايتُها
ولـيـس يـرعـبـهـا أن الـنـضـالَ دمُ

فـالـعـدلُ لا يُـجْـتـبَـى إلا وتـربـتُـهُ
من الـدمـاء وعـزم الأسْـد تزدحمُ
هـذي كـنـانـتـكـم يـا عُـرْبُ فاتخذوا
منـهـا مـنـاراً إلـى الـثـورات عِـزَّكُـمُ
ثـم اعرفوا بعد نَيْلِ المجد نعمتها
منها عُلاكُمْ ومنها الفخر والشَّمَمُ

إن ثـورة الـشـعـب المصري ليست حدثاً مصرياً فحسب، إنما هي حدث إقليمي وعالمي كذلك، ونجاحها لم يكن نجاحاً لمصر، بل هو نجاح تتطلبه الأمة العربية والإسلامية، ذلك أن نجاح مصر يمكنها من استعادة مجدها ومكانتها العالمية والعربية؛ مما ينعكس إيجاباً على أمتنا الحبيبة، التي غاب دورها الريادي طويلاً.

المحروسة تفرح وتتنفس الحرية

أخـيـراً تـنـفـسـت المحـروسـة، أمُّ الدنيا الجميلة، وتحولت جمعةُ الزحف للجهاد.. نعم أفضل جهاد كما أخبر رسولنا ﷺ: «أفضل كلمة جهاد كلمة حق عند سلطان جائر».. أجـل، تحـولـت جمـعـة الـزحـف إلـى جمعة النصر، تحرر المصريون من كل قيد، اقتحموا كل الصعاب، ظهروا كأسرة واحدة، مسلموهم ومسيحيوهم، يساند بعضهم بعضاً، يؤاكل بعضهم بعضاً، يُسلي بعضهم بعضاً، يؤمِّنون الأماكن، يفتشون المتوافدين المقبلين على ميدان الحرية والحضارة، بأسلوب حضاري، وابـتـسـامـة رقيقة، واعـتـذار مهـذب يسبق التفتيش، لـدرجـة دفعت رئيس أكـبـر دولـة في العالم «باراك أوباما» أن يُلقي كلمة يظن سامعها - لو لم يعرف أنه رئيس أمريكا - أن المتحدث واحد من أبرز قادة ثورة مصر! لقد حيّا «بـاراك أوبـامـا» نضال الشعب المصري، ووصفه بأنه جاء إلهاماً للإنسانية، كشف فيها أن الشعب المصري توّاق للحرية والكرامة، ووصف ثورة المصريين بأنها أسمعته أصداء التاريخ.

يا مصر قومي

إن المشاهد لميدان الشرف والكرامة ليتأكد أن أهلها مصرون على أن تنهض مصر بعد أن تراجع دورها على أيدي المفسدين الخانعين، الذين قـزَّمـوا أحـلامـنـا، وأهـدروا كرامتنا، لقد أبدع الشعب المصري العظيم في ميدان الحـريـة.. كـنـت أستمع وأشاهـد الفن الراقي المتنوع، الذي يُجيش العاطفة، لقد أرجعتني أغنية «بسم الله.. الله أكبر بسم الله» إلى مصر العظيمة.. حرَّكت ذكريات مضت منذ أكثر من سبعة وثلاثين عاماً، فكنت أستمع - صباح عبور الجيش المصري قناة السويس - إلى التكبيرات، وأشعر بأنني أعيش لحظة عبور جنود مصر قناة السويس بعد أن حطموا خط «بارليف»، وكنت آنذاك لم يتجاوز عمري ستة عشر عاماً، وكم تمنيت ساعتها أن أكون واحداً من جيش مصر العظيم.

نعم تحـررتْ مصرُ، وبـدأت تنهض بعد أن تحكم فيها حفنة من المنتفعين، كانت بيدهم مفاتيح إطعام أهلنا في غزة، وفك حصارهم، فغلَّقوا الأبـواب، وأحكموا إغلاقها، ورأينا هيبة مصر تعود، وتنكمش جرذان الصهاينة، ويستغيثون بأعوانهم من الغرب يطالبونهم ببقاء النظام الذي ضمن لهم مصالحهم أكثر من ثلاثة عقود، فلما أيأسهم الله من ذلك، استغاثوا بالعالم أن يتوسل إلى المصريين أن يحافظوا على معاهدات السلام.

ميدان الإبداع

حـوَّل الـثـوَّارُ مـيـدان ٢٥ يـنـايـر (ميدان التحـريـر) إلـى نـواد من الشعـر والأناشيد، ومجالس علم، وتلاوة القرآن، ودعـاء وذكر.. كـان لهذا الميدان زَخَمٌ أدبي وفكاهي سنظل ننهل منه على مر التاريخ.. حقاً إنها أعظم ثورة شعبية في تاريخ مصر، وأتوقع أن ينتج هذا الحدث بنوكاً متنوعة من الإبداع بألوانه المختلفة، فأبدع أحدهم وأنتج - بالعامية - بعد أن كبَّر بقوله:

الـلـه أكـبـر.. الـلـه أكـبـر
وطـنـي الحـبـيـب اتحـرر
يـا مـصـري قـوم وكـبـر
وارفـع صـوت الأذان
أعـظـم ثـورة شـعـبـيـة

(*) أستاذ المناهج وأساليب التربية الإسلامية المساعد

من غير سلاح سلمية
عيش وكرامة وحرية
أبسط حق الإنسان

*****

يا بلادي يا أحلى مينا
إحنا ولادك سفينة
تايهة وحايرة وحزينة
لكن آن الأوان

*****

بعد الغربة الصعيبة
والتوهة في بحور غريبة
نرجع لبلادٍ حبيبة
نرجع لشط الأمان

*****

افرح اليوم وطالع
سهمك يا مصري طالع
لا عاد الحلم ضايع
ولا عاد بيننا جبان

*****

يا مصري قوم وعمّر
ازرع واصنع وصدّر
خيرك يا بلادي أكثر
ما اللي اتسرق زمان

*****

حانعوّض الخسارة
في صناعة أو تجارة
ونزيل طعم المرارة
والذل والحرمان

*****

حانعمّرها بإيدينا
من نيل أسوان وسينا
يا تاريخ اشهد علينا
واشهد يا أعظم ميدان

كما غرَّد الشيخُ إمام - حفظه الله - بصوته المؤثر الصادق، الذي يلهب حماس الجماهير، وهو يقول:

يا مصر قومي وشدي الحيل
كل اللي تتمنيه عندي

وارتفع الإنشاد:

يا بيوت السويس يا بيوتنا أنت
أستشهد تحتك وتعيش أنت

آمالنا في شبابنا

لقد صنع الشباب ما لم يصنعه الكبار، بعد أن أتت علينا عقود من الدهر ونحن نفقد الأمل، وما أكثر مَنْ سمَّاهم - تهكماً - شباب «النت»، أو شباب «الفيسبوك».. أو غير ذلك من مسميات تستصغر الشباب وطاقاتهم.. هذا الشباب الذي ضرب أروع الأمثلة في تحقيق الحرية والكرامة والعزة والإباء، ذلك الشباب الذي بذل دمه، وضحى، وارتقى بذاته على نزواته.. إنهم يستحقون منا كل تقدير وتكريم.



قد يتصور بعضهم أن هؤلاء الشباب ينتظرون أوسمة أو نياشين توضع على صدورهم، أو قلادات شكلية، لكن المتعمق في نفوس هؤلاء الشباب، العالم بعزائمهم، وتطلعاتهم يدرك بسهولة أن هذا الشباب يأمل في أن يعطيه الكبار ما يلي:

أولاً: الحرية التي توفر مناخاً للإبداع.

ثانياً: الاهتمام بالتعليم والمناهج الدراسية بسائر المراحل التعليمية، فلدى مصر إمكانات بشرية هائلة، إذا أتيحت لهم الفرصة لتبوؤا لوطنهم وأمتهم ما يحلم به المخلصون.

ثالثاً: توفير حياة كريمة ومستوى معقول من المعيشة، يعينهم على الرقي بأنفسهم ومجتمعهم.

رابعاً: توفير العدالة التي تعطي الكفاءات حقوقهم، وتشد على يد الظالمين المفسدين الذين دأبوا على نهب ثروات البلاد ومقدراتها، وقذفوا واتهموا الشرفاء ذوي الأيدي النظيفة المتوضئة، هؤلاء المفسدون الذين يظلون يكذبون ويروجون الكذب، ليخدعوا السُّذج المساكين، وهم لا يدركون أن أسلوبهم هذا عفا عليه الزمن، وصار عفناً لا تطيقه حواس الناس ولا وجداناتهم.

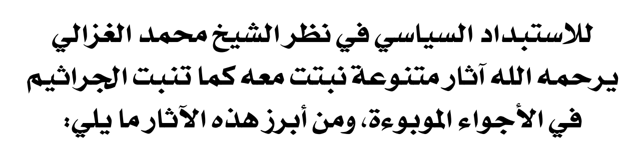
خامساً: إطلاق يد المصلحين والمربين ومؤسسات المجتمع التربوية ليربوا جيلاً جديداً يحب وطنه حباً صادقاً لا زائفاً، يسكن قلوبهم لا مجرد كلمات فضفاضة لا سدى لها في الواقع، على أن يهتم المربون والمؤسسات التربوية بتربية أبناء الأمة على القيم العظيمة دون إفراط ولا تفريط، ووقاية الشباب من الأفكار الهدامة، سواء المرتبطة بتمييع الشباب، أم تلك التي تؤدي به إلى الإرهاب والتطرف، نريد جيلاً تتحقق فيه الهوية، ويقدر على التنمية.

لقد أشرقت على مصر شمس الحرية، وتنفس أبناء أرض الكنانة هواء غير الذي كانوا يتنفسونه قبل الخامس والعشرين من يناير، وهندسوا ثورة ستدرس في التاريخ، وستُكتبُ سطورها بحروف من ذهب، على صفحات من فضة بمشيئة الله تعالى.. فكما أشرقت شمس الحرية على المحروسة أم الدنيا؛ فإننا نحلم بفجر جديد في جميع ميادين الحياة، ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) ﴾(الإسراء).

سادساً: تحقيق الأمن والأمان للوطن والمواطنين، وتلك ثمرة طبيعية للإيمان، فقد قال ربنا سبحانه: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾ (الأنعام).■






للاستبداد السياسي في نظر الشيخ محمد الغزالي يرحمه الله آثار متنوعة نبتت معه كما تنبت الجراثيم في الأجواء الموبوءة، ومن أبرز هذه الآثار ما يلي:

بقلم: أ. د. رمضان خميس (*)

قراءة في فكر الشيخ الغزالي (٣ من ٣)

آثار الاستبداد السياسي

١- استرقاق الناس حساً ومعنى:

ويرى الشيخ الغزالي أن الاستبداد السياسي وإن كان طبع الناس على الرق المعنوي والاستخذاء وانحناء الأكتاف له ولغيره من الاستعمار الخارجي، فهو كذلك له آثار واضحة في الرق الحسي واستعباد الأجساد، ويضرب لذلك أمثلة كثيرة، منها قوله: «إن الرقيق الذي قامت على كواهله حضارة الرومان والإغريق والفرس، وظل يزحم الأسواق في الشرق والغرب، وظل يتنقل من أوروبا إلى أمريكا حتى مطالع القرن السابق، هذا الرقيق لا يعرفه دين ولا يقره عيسى ولا محمد - عليهما السلام - وإن عمرت به قصور السلاطين الذين حكموا باسم محمد ﷺ، وقصور الباباوات والأباطرة الذين حكموا باسم عيسى عليه السلام، فإن الكثرة الساحقة من هؤلاء وأولئك ملوك مستبدون لا يربطهم بأديانهم نسب عريق، والمجتمعات التي عاشت بهم وخاضوا فيها أبعد ما تكون عن هدي الأديان ورضا الرحمن».. واستبدادهم هذا هو الذي دفعهم للاستخفاف بالناس؛ لأنهم ينظرون إليهم نظرة صاحب القطيع إلى قطيعه.

٢- الاستبداد يقطع على المصلحين طريقهم:

ويرى الشيخ الغزالي أن آثار الاستبداد السياسي جعل الإصلاح من العسر بمكان؛ لأنه يؤثر في طبيعة الأمة، ويحملها على الانزواء وراء مظاهر الرعب الذي يلقيه المستبد الحاكم في أفئدتهم، ومن هنا فهو يقطع على المصلحين طريقهم ويدق مسمار نعشه في عرشه الذي يحسب أنه يحوطه بالرعب والإرهاب.. يعبر عن ذلك الشيخ الغزالي قائلا: «إذا ذابت حرية الفرد في سلطان الحكم المطلق، وشعر جمهور الأمة بالانزواء والانكماش أمام إرادة واحدة، مكنتها المصادفات من السيطرة والامتداد؛ فمن العبث أن تتجه عناية المصلحين إلى أفراد فقدوا ثقتهم، وأعطوا قيادهم لغيرهم، بل يجب حسم الأمر أولاً مع صاحب السلطة، فإن بقاءه في وضعه العاتي يتنافى مع كل إصلاح».. ومن هنا فالمستبد لا يضر أمته فحسب، بل يجني على نفسه كذلك بإثارة الضمائر ضده وتأليب القلوب عليه.

٣- طبع الأمة بطابع الاستخذاء:

ومن آثار الاستبداد السياسي التي يذكرها الشيخ الغزالي أنه يطبع على الأمة طابع الاستخذاء والقلة والانضواء والمذلة، ويجعل الفرد منها لا يحس أنه رجل كامل بل جزء من رجل.. «وكبرياء الحكام يرمز إلى ضرب من الوثنية السياسية له طقوس ومراسيم يتقنها الأشياع، ويتلقفها الرعاع على أنها بعض من نظام الحياة الخالد مع السماوات والأرض، وحيث يسود الحكم المطلق تنتقص الإنسانية من أطرافها بل من صميمها، وذلك أن الله خلق البشر آحاداً صحيحة، وجعل لكل واحد منهم مدى معيناً يمتد فيه طولاً وعرضاً، فإذا عنّ لأحدهم أن يتطاول وينتفخ ويتزيّد؛ فعلى حساب الآخرين حتماً، ومن هنا نجد من حوله أنصاف بشرٍ أو أرباعٍ بشر أصبحوا كسوراً لا رجالاً أسوياء، وما نقص من تمام إنسانيتهم أضيف زوراً إلى الكبير المغرور، فأصبح به فرعوناً مالكاً بعدما كان فرداً كغيره من عباد الله».

ولاشك أن هذا الجو من الاستبداد والتعدي على مجال الغير وحريته يطبع هؤلاء الأفراد بطابع الاحتقار، مما يمهد هذه النفوس المحتقرة لأن تكون دابة ذلولاً ومهاداً، موطئًا للغزو الداخلي والاستعمار الزاحف بكل ألوانه وصوره.

٤- الفصل بين الجانب «العلمي» والجانب «العملي» في الإسلام:

ومن الآثار التي يذكرها الشيخ الغزالي للاستبداد السياسي، أنه جعل تعاليم الإسلام تسير في ناحية وكثيراً من أعمال المسلمين تسير في ناحية أخرى، يذكر الشيخ الغزالي ذلك، ويرى أن الاستبداد هو سبب ذلك كله فيقول: «وِزْر ذلك يقع على رأس الاستبداد السياسي، وما ينتشر في ظلاله الداكنة من جهالة وغباوة وفوضى».

ولاشك أن جو الاستبداد السياسي لا يسمح بأي فرجة من حرية يمارس المسلمون فيها حياتهم الحقيقية، فمصلحوهم يرون الأخطار محدقة، ويرفعون أصواتهم بالتحذير، ولكن الاستبداد السياسي الذي لا يرى إلا

(*) أستاذ الدراسات القرآنية المشارك في جامعة الأزهر



شخصه لا يسمع كذلك إلا صوته، يعلق الشيخ الغزالي على ذلك بقوله: «من البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه لا لمن يبصره، منذ أمد بعيد وأحوالنا تجري على هذا النحو؛ مصلحون يرون الأخطار ويرفعون عقائدهم بالتحذير منها، وعُميان يقودون القافلة بسلطات مبهمة إلى هذه الأخطار نفسها».

المصلحون ينادون: الأمة في خطر، والحاكم المستبد يحدوها إلى الخطر، ومن هنا ثبط الهمم عند الكثيرين في الإصلاح خاصة، الإصلاح السياسي وإدارة الحكم.. «واشتغل المسلمون بألوان من الترف العقلي، وعكفوا على البحوث الفلسفية والنظرية والفرعية مما لا يضير الحكام المستبدين أن تؤلف فيه المجلدات الضخام».

٥- كبت الحريات وعقْل الألسنة:

وقد ذكر الشيخ الغزالي أن من آثاره كذلك عقل الألسنة عن الكلام في عمل الاستبداد والمستبدين، فيلاحق الناقدين والمصلحين، لا يريد إلا أن يسمع صوت المدّاحين والمرائين، أما مصالح الأمة فدون مصلحته هو وفداء لنفسه وآله، يقول الشيخ الغزالي معبراً عن ذلك، وموضحاً عواقبه الوخيمة وما يجره على الأمة من ويلات: «وعقل الألسنة عن الكلام في عمل الاستبداد والمستبدين ضيّع على أمتنا مصالح عظيمة خلال العصور السابقة؛ إذ طمأن العجزة والمفسدين وجعلهم يسترسلون في غيِّهم، فما يفكرون في أطراح كسل ولا ترك منقصة».

والحديث النقدي لمصالح الحكم والأمة متنفس طبيعي للأمة، تستطيع من خلاله أن تنفّس عن نفسها، وهذا المتنفس النقدي صنعه الإسلام للأمة حتى توجه من خلاله قوادها إلى الحق، وتدلهم إلى الخير، وتبقى الأمة راعيها ومرعيها على قدم المساواة في العرض والنقد، وعبّر عن ذلك الشيخ الغزالي بأسلوبه الأدبي الرشيق فقال: «إن الإسلام صنع في بلاده حدائق فيحاء شهية المنظر والمتنفس، فجاء الاستبداد السياسي أشبه ما يكون بدخان من البترول المحترق، ترسله آلة خربة ملأت الجو بغيومه، وزكمت الأنوف برائحته، وما يبقى على هذه الآلة رجل يريد بقاء الناس في الإسلام».

٦- الاستبداد السياسي والاكتشاف العلمي:

والحق أن الشيخ الغزالي تابع أثر الاستبداد السياسي على فكر الأمة؛ فوجد أن الانكماش العقلي لا يوجد إلا في جو الاستبداد، وأن انحراف الأفكار كذلك وخروجها عن طورها التي خلقها الله عليه لا يكون إلا في تيه ضغط الفرد الحاكم وتسلطه على أمته، يقول الشيخ الغزالي: «عندما أبحث عن جراثيم الانحراف بين المتدينين؛ أجد هذا اللون من الفرعنة وراء جملة من المسالك التي نشجبها ونضيق بأهلها، فبعض الجماعات تنبت أفكارها في السجون، ونمت أشواكها بين القضبان، يوم استطاع رجل فرد أن يأمر باعتقال ثمانية عشر ألفاً في عشية واحدة، وأن يدخل الكآبة والذل على ثمانية عشر ألف بيت من المسلمين».

والاستبداد السياسي كما هو سبب من أسباب الانحراف الفكري والاعوجاج الشخصي، فهو كذلك من أوائل أسباب الشلل الفكري على حد تعبير الشيخ الغزالي، إذ يوضح هذا السبب وآثاره في إيقاف الفكر الإسلامي وتجميده عن التحرك والإنتاج فيقول: «والاستبداد السياسي في رأيي من أول أسباب الشلل الفكري عند المسلمين، إنه ليس هيّناً أن يسير الإنسان في الطريق خائفاً يترقب، فقد تهوي عصا على أم رأسه تودي بحياته، أو تناله صفعة على قفاه تودي بكرامته، أو يؤخذ بتلابيبه فيُرمى في السجن لا يدري شيئاً عن أهله وولده!!».

ويوضح الشيخ الغزالي حاجة الناس إلى الاستقرار والاطمئنان من أجل الإنتاج والإبداع، ويضرب الأمثلة من القرآن الكريم لذلك فيقول: «إن الحاجة إلى الاستقرار النفسي كالحاجة إلى القوت، فإن الخليل إبراهيم - عليه السلام - يقدر حقوق الإنسان الأدبية والمادية عندما جأر قبل إنشاء مكة ﴿**رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾(البقرة:١٢٦).

والجندي المأمور بضرب الناس لا يبالي أن يسحق تحت حذائه أكبر مخ في العالمين؛ لأنه لا يفرق بين مخ ومخ، ولا يدري إلا أنه مكلف بالضرب، إنه آلة بشرية في يد جبار».

والاستقرار الأمني والنفسي والمعيشي من أسباب الإنتاج السليم والتفكير السليم والعطاء السليم، ويقارن الشيخ الغزالي بين مكان توافر فيه هذا الاستقرار المتكامل، وبين مكان فقَدَ

الاستبداد السياسي يجعل تعاليم الإسلام تسير في ناحية وكثيراً من أعمال المسلمين تسير في ناحية أخرى

المستبد لا يضر أمته فحسب بل يجني على نفسه بإثارة الضمائر ضده وتأليب القلوب عليه

هذا الاستقرار، ويذكر نتائج ذلك فيقول: «هل تحسب أن الذكاء الياباني وحده وراء هذا النجاح الرائع؟ كلا، إن الاستقرار النفسي والاجتماعي في طول البلاد وعرضها كان نعم العون في ذلك المضمار، كأن الحكومة جسدٌ روحُه الشعب، أو كأن الشعب جسدٌ روحه الحكومة، لا انشطار في عزم ولا اختلاف على هدف ولا تحاقد على منصب».

فكان هذا الاستقرار الشامل لكل ناحية من نواحي الحياة من أول الأسباب، ويضرب الشيخ الغزالي مثلاً آخر على أن الاستقرار الأمني السياسي من أقوى الأسباب على الإنتاج والعطاء بالشاب الإنجليزي مخترع الدراجة البخارية، وكيف كان يتابع ببصره رفع البخار لغطاء الآنية، ويفكر بأناة في استغلال هذه القوة لمصلحة البشر، كان مطمئن البال وهو يتأمل ويستنتج أن أحداً لن يجره إلى دار الشرطة ليضرب مائة سوط على تصرفه، إنه لن يقف أمام ضابط ليهينه، ويقول له بعد أن يتحفه بألفاظ بذيئة: فكر فيما ينفعك كما يجري على كثير من الألسنة في الشرق الإسلامي! إن الكرامة الأدبية والمادية تقررت للجماهير في بلده بثمن رهيب دفعه ملك إنجلترا من رأسه».

والضغط الاستبدادي لا يؤثر في الناحية العلمية المجردة فحسب، بل قد يؤثر في وعي علماء كثيرين ممن يحملون الدعوة إلى الإسلام، فإن حديث كثير منهم عن أمر الشورى، وهل هي ملزمة أم معلمة؟ ما يراه الشيخ الغزالي إلا من ضغط الاستبداد السياسي، بل إنه يرى أن حديث بعض الفقهاء عن الصبر على جور الحاكم ليس إلا من هذا الصدد.. يقول: «بلغ التطير ببعض الفقهاء أن جعل الصبر على جور الحاكم من شعب الإيمان! وهذا كلام سقيم، وأخذه على إطلاقه كان ذريعة لتنويم الشعوب على ما ينزل بها من ضيم، حتى بلغ فُسوق الملوك والحكام في بلاد الإسلام حداً لا يطاق، إن الفتوى بالتمرد على الحاكم أو الاستكانة له تحتاج إلى بصر حديد، والحقيقة تضيع دائماً بين الإفراط والتفريط».

والحكم الفردي سبب هذا الاضطراب الفقهي، يقول الشيخ الغزالي: «أوجد الحكم الفردي فقهاً ليس له أصل ديني قائم، وفقهاء لا يستحقون ذرة من ثقة، وقد قرأت مشروع دستور وضعه واحد من هؤلاء، فرأيت الخليفة المنتظر يستمتع بسلطات دونها بمراحل سلطات القيصر الأحمر في موسكو وساكن البيت الأبيض في واشنطن، قلت وثيقة تضم إلى غيرها من القمامات الفكرية في حياتنا السياسية العابرة والحاضرة على سواء».

«بل إن نظرة من الفقهاء إلى الشورى بأنها غير ملزمة من جراء الضغط السياسي؛ جعلها تختفي من مجتمعات إسلامية كبيرة، وجعل أغلبية من قريش ومن غير قريش تسيء إلى دين الله إساءات بالغة، وجعل كلمة «وليت عليكم ولست بخيركم» غريبة على الآذان، وقصة ذهبت في خبر كان، وجعلت فرعون وكسرى وقيصر يعود إلى الحياة مرة أخرى وعلى رأسهم عمائم الإسلام، أيديهم وأقوالهم تقبل وأوامرهم ونواهيهم تحني لها الهام، والحاكم المستبد يبارك إلى هذا الفقه الأليف والإفتاء المستأنس ويغدق عليه».

إذا ذابت حرية الفرد في سلطان الحكم المطلق فيجب حسم الأمر أولاً مع صاحب السلطة فإن بقاءه في وضعه العاتي يتنافى مع كل إصلاح

جو الاستبداد يطبع الأفراد بطابع الاحتقار ويمهد النفوس للغزو الداخلي والاستعمار الزاحف بكل ألوانه وصوره

ولو راجعنا الصحائف السود لتاريخ الاستبداد السياسي لوجدنا مرآة الحكام قد وطأت أكناف المنكر، وأقامت للأكاذيب سوقاً رائجة، وقلبت الحقائق وصنعت الدواهي.

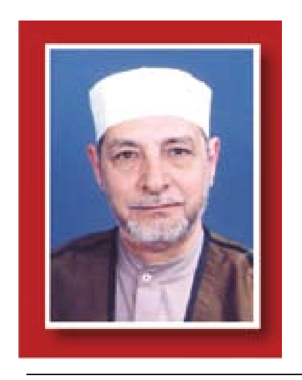
٧- الاستبداد السياسي وقابلية الشعوب للاستعمار:

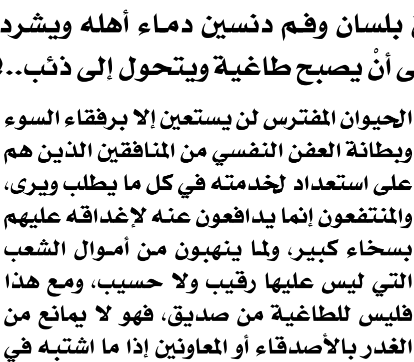
يرى الشيخ الغزالي أن من آثار الاستبداد السياسي أن يضيء الطريق أمام الاستعمار بكل أنواعه، ويمهد السبل أمامه؛ لأنه يكسر كل يد تدفع، وكل لسان يتكلم، ويجمد كل عقل يفكر.. فيأتي الاستعمار والأرض يباب، والعقل خراب، والأيدي مهشمة، والألسنة مقطوعة، فيمرح كما يشاء، ويعبر عن ذلك الشيخ الغزالي بقوله: «إن الحكم المستبد الذي تنتهي تصرفاته بإذلال الشعب واحتقار رأيه وكبت رغائبه.. هو الحاكم الذي يمهد تمهيداً واسع النطاق للاستعمار، ويفتح أبواب البلاد على مصراعيها للعدوان الأجنبي، ومما لا ريب فيه أن سوط الحكومة في الداخل يحني الظهور لقبول السياط من الخارج، ومتى انحنت الهامات مرة لمن يريد ذلك من الحكام المجرمين؛ انحنت مرة ومرة لمن يشتهي ذلك من طغاة المستعمرين».. ويستدل الشيخ الغزالي المفسر من القرآن الكريم على ما ذهب إليه بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨)﴾(الإسراء)، ويعلق على ذلك بقوله: «وهذا التحذير والرادع والتخويف الواضح ليس قسوة من القدر على الأمم التي تختل فتحتل، والتي يسهل الظلم فيها فيسهل الظلم عليها، فإن هذه الأمم - أي التي تقبل الاستعمار من آثار الاستبداد السياسي - أعضاء مريضة في جسم العالم الإنساني الحي، ولا يدمن علاجها لتصح حالة العالم كله».. ونختم هذه الجزئية: بأن «الحكم الفردي المطلق كارثة محققة بالأمم، وهو بالدين نكبة تهزم رسالته وتجرح فضائله، وإذا كنا قد لاحظنا أن الحكم الإسلامي هبط أحياناً إلى مستوى دون ما ينشد الإسلام، أو كان سلوكه غير متفق مع أماني الجمهور؛ فلنتخذ من الوسائل ما يحول دون تكرار المأساة».. «فإن الشعوب دفعت الألوف المؤلفة من أرواح بنيها، والقناطير المقنطرة من كسبها وكدها؛ لترضي طموح زعيم مغرور أو رئيس مغامر مقل في مواهبه الرفيعة مكثر في مطامعه السيئة».. ومن هنا واجب على الإنسانية كافة والمسلمين عامة أن يحددوا موقفهم من الاستبداد والاستعباد، حتى تسير الأمة إلى طريق الرشاد، فنحن نريد الرجال الذين يقولون للظالم: لا وبملء أفواههم، هؤلاء الذين يتمنى الشيخ الغزالي وجودهم قائلاً: «نريد رجال الحق في عالم عزّ فيه نصراء الحق، وفي بلاد سخر فيها الدين كما سخرت الدنيا لحراسة أمراء الجور وتمجيد العيال الفسقة؛ لأن السلطان في أيديهم وتحت أقدامهم».

يوم أن يوجد هؤلاء الرجال يوجد معهم الحق، وينتصر بهم الصدق، وترتفع بهم الأمة إلى مستوى المسؤولية والبلاغ.■

مطاردة الحكام الذئاب

يقول أفلاطون: «إذا ذاق المرء قطعة من لحم الإنسان تحول إلى ذئب»، ثم يقول: «ومن يقتل الناس ظلماً وعدواناً، ويذق بلسان وفم دنسين دماء أهله ويشردهم ويقتلهم.. فمن المحتم أن ينتهي به الأمر إلى أنْ يصبح طاغية ويتحول إلى ذئب..!!».





د.توفيق الواعي

dar_elbhoth@hotmail.com

كثير من الشعوب كان لها تجارب مريرة مع الطغاة الذين تحولوا إلى ذئاب كاسرة على أممهم ورعاياهم، ولم يرعوا فيها إلاّ ولا ذمة، وكان ذنب هؤلاء الشعوب والأمم، هو الثقة في هؤلاء وتوليتهم لأمرها حتى يدبروا شؤونهم ويرعوا مصالحهم، فكانوا دواهي وكوارث.

وراعــي الشـاة يـرد الـذئب عنها
فكيف إذا كـان الـرعـاة لها ذئـابـاً

فهم - إذن - خونة للأمانة، قتلة للقانون، يقول «جون لوك»: «يبدأ الطغيان عندما تنتهي سلطة القانون، أي عند انتهاك سلطة القانون، وعند ركلِه بالأقدام».

ثم يقول: الشُّرطي الذي يجاوز حدود سلطاته يتحول إلى لص أو قاطع طريق.. كذلك كل من يتجاوز حدود السلطة المشروعة، سواء كان موظفاً رفيعاً أم وضيعاً، مَلكاً أم شرطياً، بل إن جُرمه يكون أعظم إذا صدر عمن عظمت الأمانة التي عُهِد بها إليه..».

وتعرِّف الموسوعات العلمية الطاغية، فتقول: «طغى فلان أي أسرف في المعاصي والظلم، والطاغية: هو الجبار الأحمق، المتكبر، المدمر، والمراد هنا: من تولى حكماً فاستبد وطغى، وتجاوز حدود الاستقامة والعدل، تنفيذاً لمآربه فيمن تناوله حكمه أو بلغت سلطته إليه».. هذا، وكان وصف القرآن لمن كان على هذه الشاكلة مطابقاً لهذه الصفات الذميمة، قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى (١٨) ﴾(النازعات)، وأشار أن لهؤلاء الطغاة مآلاً بئيساً وعاقبة وبيلة، وصدق الله تعالى: ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) ﴾(ص).

إذاً، فالطاغية رجل مغتصب للناس الذين يكرهونه ولا يستطيعون له دفعاً، ويتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم، ويحاكمهم بهواه لا بشريعتهم، ولا يعترف بقانون أو دستور في البلاد بل تصبح إرادته هي القانون، ويضع قدمه في أفواه الناس، وما عليهم سوى السمع والطاعة، يسخر كل موارد البلاد لإشباع رغباته وملذاته ومتعه وخيالاته وجنونه، لا يخضع للمحاسبة أو الرقابة أو المساءلة، وهكذا يقترب الطاغية من التأله.

مثل هذه الشخصية البهيمية، أو ذلك الحيوان المفترس لن يستعين إلا برفقاء السوء وبطانة العفن النفسي من المنافقين الذين هم على استعداد لخدمته في كل ما يطلب ويرى، والمنتفعون إنما يدافعون عنه لإغداقه عليهم بسخاء كبير، ولما ينهبون من أموال الشعب التي ليس عليها رقيب ولا حسيب، ومع هذا فليس للطاغية من صديق، فهو لا يمانع من الغدر بالأصدقاء أو المعاونين إذا ما اشتبه في أحدهم، أو وشي إليه به، كما أن الملتفين حوله لا يمانعون من ركله بأقدامهم إذا وجدوا بديلاً أفضل، أو إذا زال حكمه ودارت عليه الدائرة.

ولهذا، فالطاغية في الحقيقة يعيش هو وشعبه في محنة شديدة وظلام دامس يعود بالخراب على الأمة، ففي عهده يكثر المرجفون، وتحاك الدسائس والمؤامرات والأزمات ولا تنفض، وتقتل الحريات، وتسود الأجواء البوليسية والمخابراتية وتكثر العيون، ومع هذا يعيش في شك وريبة رغم الحراسات وكثرة الجنود، كما أن من المعروف أن الطاغية لا قيم عنده ولا خُلق له ولا وفاء بوعد أو حفاظ لعهد، يكره المصلحين والشرفاء والناصحين، ويقضي عليهم، ويقتل المفكرين والشجعان والمخلصين، أو يتخلص منهم بالتشريد أو السجن، أو الاتهام والمقاضاة، أو باستعمال العصا والهراوة، هؤلاء الطغاة ألا يستحقون أن يُطاردوا كما تُطارد الذئاب الكاسرة، والكلاب المسعورة والزواحف السامة؟! ألا يحق للإنسانية المعذبة المستباحة أن تستريح من سطوة هذه الوحوش الضالة؟!

إن السجون المفعمة بالمظلومين تنادي كل صاحب ضمير، ودماء الضحايا تهيب بكل دعاة الخير، وبقايا التطهير العرقي تناشد إصرار الشعوب، ورفات المقابر الجماعية تتشبث بأعناق الشعوب الساهية تطالبهم بالثأر ودق أعناق الظالمين ومطاردة المتوحشين، الذين فعلوا بها الأفاعيل، والتخلف الذي ساد ساحات الطغاة مخلفاً بطوناً خاوية، وأجساداً هزيلة، وعيوناً زائغة وخراباً ويباباً هنا وهناك، ليتطلع إلى الخلاص والفكاك من براثن الوحوش المفترسة، وأظافر وأنياب الذئاب المسعورة، التي حلت في ديارها وامتصت دماءها، وأكلت لحومها، ألا فقد آن للبشرية أن تصحو، وآن للذئاب أن تُسحق وتموت، وقد بدت تباشير هذا الزوال وهذه المطاردة من فترة، فاستلمت الشعوب الثائرة الطاغية «شاوشسكو» ومزقته إرباً، وسلم «ميلوسوفيتش» إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي، وهرب «بن علي» فراراً من شعبه بليل، وعلى إثره سيذهب «مبارك» طريداً يطارده الشعب وتلاحقه المحاكمات، ومازال الكثير ينتظر دوره خصوصاً في العالم العربي والعالم الثالث.

وإن كان بعض هؤلاء محميًّا بقوى أجنبية؛ فإنَّ الأيام قلب، وصداقة المنفعة والعمالة والظلم لن تدوم، ولإن كان تسليم حاكم يوغسلافيا السابق الذي فعل الأفاعيل في البوسنة والهرسك وفي كوسوفا مطلباً غريباً، فهو بلاشك رغبة من أحرار بلده، وحكومة شعبه، وهذه لها دلالتها، ولاشك أنه مازال في الشعوب من يدافع عن الظلم لأسباب كثيرة ترجع كلها إلى مرض المزاج العنصري، وعادة الكرامة الكاذبة والدعايات المضللة، وهي بلا ريب إلى تناقص ثم إلى زوال، وكل ذلك له مؤشراته التي لابد أن تنبه الذئاب والمتوحشين في بلادهم وعلى شعوبهم، ولن ينفعهم شغل الناس بمشكلات وهمية وقوانين استثنائية ووأد الحرية، ولن يجديهم أبداً أو يفلتهم من براثن الشعوب وأنياب المظلومين حماية أو عمالة، بل لابد أن يتنفس الناس الصُعداء، وأن يتغلبوا على تلك الوصمة وأعني بها: التخلف وغياب الوعي، واليوم قد يكون من سوء الطالع لهؤلاء القوم: تعدد الجهات الطالبة؛ أولها: الشعوب، وثانيها: حلفاء الأمس، وثالثها: محاكم أقيمت لذلك، ورابعها: فضائح هذه الأنظمة وكشف عوراتها، وخامسها: إيمان الناس بالشورى والديمقراطية، فهل يفهم هذا من بقي من طغاة الشرق قبل أن يأتي الطوفان؟.. نسأل الله ذلك، آمين.■



كانت هناك حاجة ماسّة لتعريف المقصود بفساد الجهاز الشُّرطي، وخلال الفترة من السابع والعشرين وحتى الثلاثين من شهر مايو من عام ٢٠٠١م، عُقد بمدينة «سكزجنو» في بولندا - بدعوة من وزارة الداخلية البولندية - المؤتمرُ التنفيذي الدولي الثامن لمناقشة قضية الفساد، وحضره ممثلون عن رجال الشرطة وعن الرسميين الحكوميين، وباحثون وأكاديميون قَدموا من أربع وعشرين دولة في أفريقيا وآسيا وأستراليا وأوروبا والأمريكَتين الشمالية والجنوبية، وكان عنوان المؤتمر: «الفساد.. تهديد للنظام العالمي».

فساد الشرطة.. خلاصة الخبرة العالمية (٢من٣)

تعريفات متباينة.. أنواع عديدة.. آثـــ



د. أحمد إبراهيم خضر (*)

وقد ناقش المؤتمرُ الأوراقَ والبحوثَ التي تتناول تعريف وأشكال ووصف وتوثيق الفساد الشُّرطي والمؤسّسي، ومدى آثار هذا الفساد على المجتمع، وماهية المناهج المختلفة لاستئصاله أو التخفيف من حدّته.

ورأى المشاركون في هذا المؤتمر أن التعريف القانوني للفساد يختلف من بلد لآخر، لكن مختلف التعريفات تُجمع على أن الفساد هو السلوك غير المناسب، أو استخدام السلطة غير المناسب في تحقيق مكاسب شخصية من قِبَل موظف عام في الدولة أو من قِبَل رجل شرطة.

وهناك من الباحثين من يعرِّف الفساد بأنه: «إساءة استخدام أو تجاوز حدود السلطة الرسمية، أو عدم أداء المهام الرسمية، أو قبول رشوة أو تقاضي عمولات وهدايا أو أي منافع أخرى، أو حماية أنشطة غير قانونية أو تصرفات من شأنها حماية مذنبين، أو تدمير سجلات أو أوراق خاصة بالشرطة، أو سرقة المقبوض عليهم، أو السرقة من مسرح الجريمة، أو اختلاق أدلة كاذبة، أو التعاون أو التورط في أنشطة إجرامية بصورة مباشرة،

(*) دكتوراه في علم الاجتماع العسكري - أستاذ مشارك في جامعات عربية وإسلامية

مختلف التعريفات تُجمع على أن الفساد هو السلوك غير المناسب أو استغلال السلطة في تحقيق مكاسب شخصية

أهم أنواعه: المحاباة.. الرشوة والابتزاز.. تقاضي العمولات.. غسيل الأموال.. الشهادات الكاذبة.. السرقة الانتهازية

ـــار خطـيرة



أو تجميع واستخدام معلومات تخص جهاز الشرطة».

ومن التعريفات الأخرى المشابهة للتعريفات السابقة هذا التعريف الذي يرى الفساد الشُّرطي بأنه: «إساءة استخدام رجل الشرطة للسلطة المخولة له؛ سعياً وراء الحصول على مكاسب شخصية أو تنظيمية».

وهناك تعريف آخر مؤداه: «فعلٌ ما يحدث بين طرفين، يستخدم فيها رجل الشرطة السلطة الممنوحة له للحصول على مكاسب لا يستطيع الطرفان الحصول عليها بطريق مشروع».

وفي تعريف آخر أيضاً: أنه «فعل غير قانوني، أو سوء تصرف يتضمن استخدام سلطة الوظيفة للحصول على مكاسب شخصية أو جماعية أو تنظيمية، ويُعتبر الفعل فاسداً إذا كان هناك انتهاك لمواد القانون المدني أو الجنائي، ويُعتبر سوء تصرُّف إذا كان فيه خروج عن بعض القواعد المقررة؛ كقواعد المرور مثلاً».

أما تعريف الباحثين في «هونج كونج» للفساد الشُّرطي فلا يختلف كثيراً عن التعريفات السابقة، فيقولون: إنه «سوء استخدام السلطة الشُّرطية سعياً وراء الحصول على مكتسبات شخصية، مثل قبول وتجميع أو توزيع نقد زائف، وغير ذلك مما يُعتبر انتهاكاً للقواعد والقوانين التي تُصدرها الحكومة القائمة».

ولكي يُصنَّف فعل رجل الشرطة على أنه فاسد، لا بد من الوقوف على الكيفية التي استخدم فيها هذا الشرطي - عند وقوع الفعل - أي شكل من أشكال المعرفة الخاصة بطبيعة عمله، أو موجودات وحدته، أو أن يكون الدافع إلى فعله هذا هو الحصول على فائدة ما، أو مكافأة محددة شخصية أو جماعية أو تنظيمية بصفته عضواً في الجهاز الشُّرطي.

وتكمن صعوبة تعريف الفعل الفاسد في أن بعضاً من أشكال ممارسات السلطة أو سوء تصرُّف أفرادها هو موضع سؤال، فهناك تصرفات لرجال الشرطة في التعامل مع المتهمين تتسم بالتعصب أو بالغلظة، أو الاستخدام غير الضروري للقوة، فليس هنا مكسب ملموس لرجل الشرطة، فكيف يوصف هذا الفعل بأنه فعل فاسد في ضوء تعريفات الفساد؟

ومن هنا تبدو الحاجة لتعريف هذه الأنماط السلوكية لرجل الشرطة؛ لأنه قد يكون لها نفس التأثير المترتب على الفساد، رغم أنها لا توصف بأنها أفعال فاسدة، ولكن الناس ينظرون إليها على أنها أفعال فاسدة.

قصور ومشكلات

ويرى عدد من الباحثين في بعض البلدان أن الفساد في جهاز الشرطة ينقسم إلى نوعين:

فساد داخلي: يتمثل في «التصرفات والأفعال غير القانونية داخل جهاز الشرطة التي يقوم بها أكثر من رجل من رجالها».

وفساد خارجي: يتمثل في «التصرفات والأفعال غير القانونية التي تجري بين واحد أو أكثر من رجال الشرطة وبين الجمهور».

وفي بلدان أخرى مثل «البرازيل»، ينقسم الفساد إلى نوعين: سلبي وفعال.

أما السلبي فهو «استخدام المنصب الذي يشغله الشخص لتحقيق مكاسب تعود إليه في شخصه هو».

وأما الفساد الفعال فهو «تقديم رشوة لموظف عام لإقناعه بإنجاز عمل، أو التغاضي عن فعل، أو تأخير إنفاذ أمر رسمي».

المشكلة في تعريفات الفساد الشُّرطي هي أن هناك قصوراً فيها يجعلها لا تنطبق على أشكال معينة من السلوكيات المصنفة على أنها فاسدة، كما أشرنا من قبل.

وهناك مشكلة أخرى في هذه التعريفات، وهي وإن كانت تنطبق على طرفين ارتكبا فعلاً فاسداً، فإن هناك أفعالاً فاسدة يرتكبها رجل الشرطة بمفرده؛ كأن يسرق شيئاً من مسرح الجريمة، أو لا يقوم بإلقاء القبض على قريب أو صديق له متهم في واقعة ما.

يُضاف إلى ذلك أن العديد من تعريفات الفساد تفترض أن هناك كسباً معيناً يتحصل عليه رجل الشرطة من وراء هذا الفساد، وهنا تنشأ مشكلة، وهي صعوبة إثبات الدليل الملموس الذي يدينه، فهو قد يكذب أمام المحكمة، أو يخفي دليلاً أثناء التحقيق، أو يقدم دليلاً زائفاً لحماية نفسه أو أحد زملائه.

أجرى «لورانس شيرمان» دراسة عن الكيفية التي يتحول فيها رجال الشرطة إلى رجال فاسدين، تبنى فيها ما أسماه بـ«المدخل

التطوري للفساد»، يقول فيه: إن «الفعل الفاسد لرجل الشرطة يبدأ بتصرف سلوكي صغير ليس فيه إيذاء لأحد، وليس فيه ضحايا؛ كأن يأخذ من متجر يقوم بتفتيشه أي مادة تافهة لنفسه، أو يتقاضى رشوة صغيرة للتغاضي عن مخالفة مرورية.. هذا الفعل في نظر رجل الشرطة مجرد انتهاك محدود لقواعد مقررة لا يتسبب فيها بضرر لأي أحد، ومن ثم لا يعتبره فساداً، لكنه مع مرور الوقت ومع تكرر مثل هذه الواقعات يتغير التصور الذاتي لرجل الشرطة، من رجل شرطة شريف مهمته إنفاذ القانون إلى رجل شرطة آخر لا يقوم بتنفيذ القانون إلا لصالح نفسه.

والواقع أن هذه الخروقات الصغيرة تتحول إلى خروقات أكثر خطورة، فإذا ما ارتكب هذه الخروقات أمام زملائه وبتسامح منهم، فإن هذه رسالة إلى كل الآخرين أن هذا الفعل ليس بفاسد، بل ربما يلقى تشجيعاً من الجميع، وهكذا يبدأ الفساد صغيراً، ثم يكبر مع مرور الوقت مع تسامح البيئة المحيطة به في مجال العمل عن فساد هذا الفعل.

٢٢ شكلاً

في عام ١٩٧٤م، طور الباحثان «ري بوك» و«تي باركر» قائمة تشمل ثمانية من أنماط الفساد، تشمل: «سوء استخدام السلطة، وتقاضي عمولات، والسرقة الانتهازية، وقبول رجل الشرطة محاباة أو رشوة من مواطن مقابل عدم احتجازه، وحماية الأنشطة غير القانونية، والأفعال الإجرامية المباشرة، وشراء رجل الشرطة أو بيعه أو مقايضته زميله بخدمات تنظيمية؛ مثل أن يبيع له نوبته أو إجازته.. إلخ، وقيام رجل الشرطة بالإدلاء بشهادات كاذبة».

وفي عام ١٩٩٨م، قام «سيد» و«بروس» بمراجعة الأدبيات الدولية المطبوعة عبر عقدين من الزمان، وتمكنا من تحديد اثنين وعشرين شكلاً من الممارسات التي صُنِّفت على أنها «فساد» مرتبط بجهاز الشرطة، ووضع الباحثان هذه الأنواع في سبع قوائم رئيسة، هي: «المحاباة، والرشوة والابتزاز، وتقاضي العمولات، وغسيل الأموال، وتحويل المصادر الخاصة بجهاز الشرطة إلى غير مسارها القانوني، كاستخدام البضائع المصادرة بطريقة غير قانونية، والسرقة، والتورط المخطط في نشاط إجرامي».

دراسة: الشرطة عادة ما تنتهك حقوق الإنسان وتنكر الحقوق الأساسية للمواطن الذي ينبغي أن يحميه القانون

مسح أمريكي: لماذا لا يُدان المجرمون غالباً بعد القبض عليهم؟ ٦٧٪ من المبحوثين: لأن رجال الشرطة يتلقون رشاوى

نظرية: الضباط الجُدد يتشرّبون السلوكيات الفاسدة من الضباط القدامى الذين تعلموها من الضباط الأقدم منهم

كما يرى بعض الباحثين أن الشرطة عادة ما تنتهك حقوق الإنسان، وتنكر الحقوق الأساسية للمواطن الذي من المفروض أن يحميه القانون، ومن أمثلة ذلك الوحشية في التعامل مع المعتقلين؛ كاحتجازهم، واعتقالهم، وتعذيبهم بغير سند من القانون، هذا بالإضافة إلى الاستخدام غير المشروع للأسلحة، والتحرش الجنسي.. إلخ.

عوامل متنوعة

اعتماداً على عدد وفير من الدراسات، استطاع «د. دافيد كارتر» عالم الإجرام الأمريكي تلخيص العوامل المتنوعة التي تساهم في ظاهرة الفساد في جهاز الشرطة على النحو التالي: «الجشع والطمع، دوافع شخصية مثل حب الأنا وشهوة الجنس، وشهوة السلطة، والتعصب الثقافي نحو فئات معينة من الجمهور، والتنشئة الخاصة بالجماعة التي يعمل معها رجل الشرطة، وسوء انتقاء طلاب الشرطة، والإشراف والتوجيه غير المناسب، والافتقاد إلى المحاسبة الواضحة لسلوك رجال الشرطة، وعدم وجود جزاءات، أو تهديد حقيقي يمس رجل الشرطة في حالة عدم انضباطه».

النظريات المفسِّرة للظاهرة

ظهرت في السنوات الأخيرة ثلاث نظريات رئيسة حاولت تفسير أسباب الفساد المنتشر في جهاز الشرطة:

لا يستطيع الناس مراقبة رجل الشرطة لأن لديه من سلطة البطش قدراً هائلاً يعجز المواطن عن مواجهته

النظرية الأولى: وتسمى بنظرية «عموم المجتمع» The Society at large theory. وصاحب هذه النظرية هو «أو. دبليو. ولسون»، الذي يرى أن المجتمع كله هو المسؤول عن فساد جهاز الشرطة، بمعنى أن فساد هذا الجهاز ناتج أصلاً عن أفعال فاسدة سائدة في المجتمع، فحينما يقوم مواطن ما بإعطاء رجل شرطة مبلغاً من المال أو هدية صغيرة مقابل خدمة أداها له، يكون هذا المواطن قد ساهم في إفساد هذا الجهاز، ذلك لأنه فتح الباب أمام رجل الشرطة لأن يحصل على مقابل أكثر لخدمات أكبر.

ولا يقتصر هذا الأمر على جهاز الشرطة، إنما يمتد ليشمل مختلف القطاعات الأخرى في المجتمع، وإذا رأى ضابط الشرطة أن قاضياً ما يتقاضى رشوة مقابل عرقلته سير العدالة، فإن هذا الضابط سيصل إلى نتيجة مؤداها: إذا كان القاضي يربح من هذا السلوك، فإنه بإمكانه أن يفعل ذلك أيضاً.

النظرية الثانية: وتسمى بنظرية «دورة الفساد» The structural- affiliation theory. صاحب هذه النظرية هو «آرثر نيدر هوفر»، الذي يرى أن ضباط الشرطة يتشربون الفساد وهم يراقبون أفعال الضباط والرؤساء القدامى، فالضباط الجُدد لا يبدؤون بالفساد، ولكن السلوك المنحرف والاستجابة لهذا السلوك في ميدان تعزيز القانون يبدأ في الحركة مشكلاً «دورة فساد»؛ حيث يتعلم الضباط الجُدد سلوكياتهم من الضباط القدامى الذين تعلموها من الضباط الأقدم منهم.. فإذا لم تضع السلطات المسؤولة حداً لذلك، فإن الضباط الجُدد سيقومون بنفس هذه الأفعال السلوكية الفاسدة، ويمررونها



لغيرهم من الضباط الجُدد، وهذا يعني أن الفساد لا يقتصر على الرُّتب الدنيا فقط، بل يمتد فيشمل القدامى منهم، وعادة ما ينخرط الآخرون فيما يُعرف بالفساد المنظم.

وقد أعطى خبراء الفساد الشُّرطي البريطانيون أهمية خاصة لما يسمونه بـ«الثقافة الفرعية في وحدات الشرطة»، ويعني ذلك أن الأفراد الجُدد يجدون أنفسهم يتعايشون مع زملاء لهم تحكمهم ثقافة خاصة في الوحدة التي يعملون فيها، وأن عليهم مسايرة زملائهم فيما يسود بينهم من معايير، فإذا كانت هذه المعايير فاسدة، فعليه أن يتماشى معها، وإلا فإنه سيتعرض لجزاءات غير رسمية من زملائه، تتمثل في رفضهم له وتعرضه للنبذ، ومن ثم تحتل هذه المعايير غير الرسمية أسبقية فوق المعايير الرسمية.

ويبرر بعضهم قبول هذه المعايير بأن المواطن العادي يعطي عادة «بقشيشاً» لمن يقدم له خدمة كسائق التاكسي أو عامل المطعم أو مصفف الشعر، أو من يقوم بتوصيل الطلبات إلى المنازل كنوع من أنواع الرضا على مقدم الخدمة، فلماذا لا ينطبق ذلك على رجل الشرطة؟

وترتكز هذه النظرية على عامل مهم هو عامل «السرية» الذي هو أحد العوامل الرئيسة في جهاز الشرطة، وهذه السلوكيات التي تجري سراً تمثل أرضية تنزف بالفساد، وتحتاج مواجهة هذا الأمر إلى علاج من خارج الجهاز ذاته كـ«مجلس مراجعة مدني»، لأنه طالما لا توجد هناك مراجعات لأعمال الشرطة من خارجها، فلن تكون هناك فرصة لإيقاف الفساد، ذلك لأن جهاز الشرطة هو الذي يملك وحده آليات مواجهة الفساد،

وحينما يلتحق الضباط الجُدد بأعمالهم في وحدات هذا الجهاز، ويجدون أن السلوكيات الفاسدة هي المعيار السائد، وأنها مقبولة من الجميع، فلن يجدوا حرجاً في قبول هذه المعايير أو تجاهلها على الأقل.

النظرية الثالثة:

واشتهرت باسم نظرية «التفاحة المعطوبة» The rotten apple hypothesis ، وتُعتبر من أشهر النظريات قبولاً لدى الباحثين في هذا المجال. ويرى المؤيدون لهذه النظرية أن فساد جهاز الشرطة ناتج عن وجود أفراد بداخله لديهم استعداد للفساد أصلاً، وحينما تظهر فضائح هؤلاء الفاسدين على السطح، فإنها تشوّه صورة جهاز الشرطة بأكمله.

ويركز الخبراء البريطانيون على أن طبيعة التنظيم الشُّرطي نفسه قد تساهم في الفساد، ويرون أنه ليس هناك ضوء أحمر يوقف رجل الشرطة عما يريد أن يفعله، فهو حر في تصرفاته، كما أنه يتقاضى أجراً، وتُتاح أمامه فرصة التعامل مع الأشرار والمجرمين كجزء من روتين عمله اليومي، ولا يستطيع الناس مراقبة رجل الشرطة؛ لأن لديه من سلطة البطش قدراً هائلاً لا يمكّن أحداً من مواجهته.

كما أشار الخبراء أيضاً إلى أن الفساد قد يكون متوطناً في بعض وحدات الشرطة دون غيرها، فهناك وحدات شُرطية معينة متخصصة في التعامل مع متهمين في جرائم معينة؛ مثل وحدات الآداب أو وحدات المخدرات أو وحدات البضائع المصادرة. وهنا يجد أفراد الشرطة أنفسهم على حافة الوقوع في الفساد، فإذا كانت الجرائم التي تخصصت فيها هذه الوحدات سرية بطبيعتها، فإنه من الصعب ضبط المتورطين من رجال الشرطة في أعمال فساد، خاصة مع كثرة المغريات التي قد تُقدَّم لهم.

ويرجع السبب في هذا الفساد إلى عدم توخي الدقة في اختيار رجال الشرطة الجُدد، وإلى سوء التدريب، وسوء الإشراف، وأنه إذا لم يتم استئصال هذه النوعيات؛ فإن الفساد سيعم الجهاز كله، ولا علاج لذلك إلا باتباع قواعد صارمة في عملية الانتقاء للطلاب الجُدد، والاهتمام بزيادة جرعات التدريب، ومراعاة الحزم والدقة في الإشراف.

ويرى الخبراء أنه ليست هناك واحدة من هذه النظريات جامعة مانعة بمفردها، وتعمل مستقلة عن الأخرى؛ ذلك لأن تفسير ظاهرة الفساد قد يكون في مجموع العوامل التي تناولتها هذه النظريات.

آثار الفساد

على الرغم من أن الإدراك الشعبي للفساد الشُّرطي ليس دقيقاً بالضرورة؛ إلا أن استفتاءات الرأي العام قد تمد بمؤشرات لذلك، ففي أحد المسوح الأمريكية التي أُجريت في عام ١٩٩٦م عن تصورات الشعب نحو الشرطة، كانت النتائج مقلقة.

كان السؤال المطروح هو: لماذا لا يُدان المجرمون غالباً بعد القبض عليهم؟ وأجاب ٦٧٪ من المبحوثين: إن رجال الشرطة يتلقون رشاوى.

وما أن يصبح الفساد الشُّرطي ممنهجاً، فإنه يغذي إحساس الجماعات الإجرامية بالحصانة، ويسود في بعض المجتمعات شعور بأن المجرمين الأقوياء لا يمكن المساس بهم، ومن ثم يشعر الناس بعدم الأمن بالتالي، وأن الشرطة لا تحميهم في الواقع، إنما تتستر على المجرمين، ومن ثم تزول الثقة في عدالة النظام الجنائي ككل، وفي الشرطة بصفة خاصة.

وقد حاول الباحثون الأستراليون في عام ١٩٩٦م الوقوف على العوامل التي من شأنها أن تحد من اتخاذ مواقف صارمة ضد الفساد، فذكروا منها ما يلي:

- الاعتقاد بأن السلوك الفاسد له ما يبرّره تحت ظروف معينة.
- الاعتقاد بأنه ليست هناك حاجة للكشف عن الفعل الفاسد؛ لأنه لا أمل في اتخاذ موقف حاسم ضده.
- الخوف من الانتقام ضد من أبلغ عن الفساد، سواء على المستوى الشخصي أو المستوى المهني.
- صغَر رتبة من يرغب في الإبلاغ عن الفساد.
- وجود علاقة بين الرؤساء والمتهمين في قضايا الجريمة.
- القلق من عدم كفاية الدليل عند الإبلاغ عن حالة فساد.■



سقوط «مباركٍ» أنهى حصار غزة معنوياً.. ويبقى تطبيقه على أرض الواقع

مع اللحظات الأولى لانطلاق «ثورة ٢٥ يناير»، كانت قلوب أهالي قطاع غزة تنبض، ترافقها عيونهم وهي لا تغيب عن مشاهدة القنوات الإخبارية، متابعين لحظات الثورة على مدار الساعة.. وقد مر على الثورة ١٨ يوماً، إلى أن جاء الخبر الذي طالما انتظره الشعب المصري، ليس وحده فحسب؛ بل انتظره معه أهل غزة الجيران الأقرب لمصر، وهو إعلان «مبارك» تنحّيه عن رئاسة الجمهورية.

غزة: أحمد عبدالله

هذا الخبر لم يمر مرور الكرام على جميع الدول العربية، بل والأجنبية، فخرجت بالليل تهتف بنصرة الشعب المصري، كيف وإذا كان الأمر متعلقاً بمن هم الأقرب جواراً لمصر، ومن ذاقوا مرارة علقم الحصار والألم والمعاناة على يد هذا النظام الباغي.

مع اللحظات الأولى لسماع هذا الخبر، خرجت غزة رغم البرد القارس عن بكرة أبيها، تهتف وتهلل لهذا الإنجاز الذي وصفوه بأنه نصر إسلامي كبير، آملين أن يكون سقوط هذا النظام هو الطلقة الأخيرة التي تُطلق على جسد هذا الحصار الظالم.

لحظة تاريخية

رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية، اعتبر في أول تصريح له منذ اللحظات الأولى لسقوط نظام «مباركٍ» وانتصار الثورة المصرية بأنه «سيكتب تاريخاً جديداً لمصر».

وأبرق هنية، في تصريح مقتضب، بالتهنئة للشعب المصري، وقال: إن «مصر تكتب تاريخاً جديداً للأمة، والحصار على غزة يترنّح».

من جانبه، اعتبر المجلس التشريعي الفلسطيني، تنحّي «مبارك» بأنه «انتصار تاريخي مؤزر للقضية الفلسطينية».

وهنأ «د. أحمد بحر»، النائب الأول لرئيس المجلس التشريعي، الشعب المصري بانتصار ثورته المجيدة.

ودعا القيادة المصرية الجديدة إلى الارتقاء إلى مستوى اللحظة التاريخية، وفتح المعابر، ورفع الحصار عن قطاع غزة.

وقال بحر: إن «الانتصار التاريخي للثورة المصرية المباركة انتصار مؤزر للقضية الفلسطينية، وبداية لمرحلة جديدة من الصعود الفلسطيني، والعربي والإسلامي، والانتكاس الصهيوني الأمريكي في المنطقة».

معبر رفح

وقد أكدت هيئة المعابر والحدود الفلسطينية أنها تواصل جهودها من أجل إعادة فتح معبر رفح البري.

وأكدت أنها مستمرة في إجراء الاتصالات مع المسؤولين المصريين وجهات أخرى ذات علاقة؛ لرفع المعاناة عن المواطنين الذين تضرروا جراء إغلاق المعبر، خصوصاً المواطنين العالقين في مصر .

وقالت: إنها تبذل كل جهد ممكن لإعادة فتح المعبر، وناشدت السلطات المصرية العمل على فتح المعبر في أسرع وقت كي لا تتفاقم المعاناة الإنسانية للمواطنين الفلسطينيين، خصوصاً المرضى الذين هم بحاجة إلى علاج سريع.

ودعت الهيئة المواطنين إلى عدم الإصغاء لأي شائعات بشأن المعبر؛ منعاً لإحداث أي حالة من البلبلة والإرباك، ومتابعة البيانات الرسمية التي تصدر من هيئة المعابر.





إسماعيل هنية: مصر تكتب تاريخاً جديداً للأمة.. والحصار على القطاع يترنّح

د. أحمد بحر: بداية مرحلة جديدة من الصعود الفلسطيني والعربي والإسلامي.. والانتكاس الصهيوني الأمريكي في المنطقة

تغيير جذري:

المحلل السياسي «مصطفى الصواف» أكد في حديث خاص لـ«المجتمع»، أن مصر تمارس دوراً كبيراً في المنطقة والقضية الفلسطينية، وأكثرها مع قطاع غزة؛ كونها الجهة الفلسطينية المجاورة مباشرة للأراضي المصرية.

محللون سياسيون: موقف السلطة الفلسطينية أصبح ضعيفاً بعد سقوط أكبر الأنظمة الداعمة لها

وقال: إن «الأوضاع الآن في مصر في طور المرحلة الانتقالية، وغالباً ما تكون هذه المرحلة حذرة جداً».

وأضاف: إن «أي تغيير حاصل في النظام المصري لن يكون بدرجة السوء التي كان عليها نظام «مبارك»، وأعتقد أن ذلك سينعكس إيجابياً على قطاع غزة».



رغم البرد القارس.. خرجت غزة عن بكرة أبيها تهتف وتهلل للحدث الذي وصفوه بأنه نصر إسلامي كبير

وأشار المحلل السياسي إلى أن الأيام القادمة ستشهد الحديث عن العلاقة بين مصر وقطاع غزة، متوقعاً أن تكون هناك «انفراجة وتغيير جذري في المعاملة».

أما المحلل السياسي «خليل شاهين»، فأكد أن «سقوط «مبارك» لا يعني انتهاء الأحداث بمصر، بل إنها بداية لمرحلة جديدة ستشهد تشكيل جسم سلطوي من القوى التي يختارها الشعب».

وأوضح أن موقف السلطة الفلسطينية هو الأضعف الآن بعد سقوط نظام «مبارك» أكبر الداعمين لها، مؤكداً أن المرحلة المقبلة ستتبنّى إستراتيجية جديدة ستجعل أهالي غزة على موعد كسر الحصار خلال الأشهر القليلة القادمة.

مواطنون في قطاع غزة أكدوا أن سقوط نظام «مبارك» كان مفاجأة كبرى للشعب الفلسطيني بشكلٍ خاص، وللشعوب العربية بشكل عام، موضّحين أن سقوطه سيشكل بداية انحسار المشروع الأمريكي والصهيوني في المنطقة، وبداية انطلاق مشروع الإسلام وعودته إلى مهده الأصيل.

شيخ مسن: أولادي الأربعة عشر عاصروا نظام «مبارك» ولم يشهدوا خيراً قط في ظله

الحاج إسماعيل محمد (٦٥ عاماً)، أكد لـ«المجتمع» أن كل أولاده الأربعة عشر عاصروا نظام «مبارك»، لكنهم لم يشهدوا خيراً قط، وقال: «مازلنا نعاني كما يعاني أبناء شعبنا من ويلات حصار «مبارك»، فهو لا يقل عن ذلك الحصار الذي يفرضه الاحتلال الصهيوني».

وأضاف: «لكننا اليوم نفرح من كل قلوبنا بأن أزال الله هذا الطاغية، ونحن على يقين بأن الله سيفك عنا هذا الحصار الظالم عاجلاً أم آجلاً بإذنه تعالى».■

جاءت المسيرة التي دعا إليها «حزب التجمّع من أجل الثقافة والديمقراطية»، و«الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان» يوم السبت الماضي (١٢ فبراير) باهتة وضعيفة، ولم تلقَ صدى لدى الشباب الجزائري، رغم أنها اختارت «ساحة أول مايو» للانطلاق منها، وهي ساحة مشهود لها بالاكتظاظ لأنها مفترق طرق وصولاً إلى «ساحة الشهداء».

مسيرة ١٢ فبراير.. بداية «زوبعة» قرّر الأمن الجزائري أن تكون في «فنجان»!



الجزائر: انشراح سعدي

وأوضح بيان لوزارة الداخلية والجماعات المحلية بالجزائر أنه «تم تسجيل محاولة تنظيم مسيرة بالجزائر العاصمة من قِبَل مجموعة يُقدَّر عددها بنحو ٢٥٠ شخصاً، تم إيقاف ١٤ منهم ثم أُطلق سراحهم مباشرة، في حين أكد المنظمون أن عددها بلغ ألف متظاهر، وأن رجال الأمن قد اعتقلوا أربعمائة محتج».

وقد منعت قوات الأمن في الصباح الباكر مجموعة من الأشخاص الذين تجمعوا بساحة الوئام المدني (أول مايو سابقاً) من القيام بهذه المسيرة غير المرخصة، وأوقفت عدة أشخاص.. وطالب منظمو المسيرة بـ«التغيير والديمقراطية، والرفع الفوري والفعلي لحالة الطوارئ، وإطلاق سراح الموقوفين في الأحداث الأخيرة، وتحرير المجالين السياسي والإعلامي»، إلى جانب المطالبة بـ«جزائر ديمقراطية واجتماعية».

وعرفت المسيرة أخذاً ورداً بين الطرفين، دون تسجيل أي مواجهات، لأكثر من خمس ساعات كاملة، تخللتها محاولات عديدة للإفلات من بين أيدي وعناصر مكافحة الشغب، للسير نحو ساحة الشهداء مروراً بموقف حافلات لنقل المسافرين، لكن الطوق الأمني الذي فرضته قوات مكافحة الشغب أفشل جميع المحاولات في نهاية المطاف، كما لوحظت حالات واسعة من التوقيف ضد المتظاهرين.

تناقضت مطالب المتظاهرين بين المطالبة «بإسقاط النظام»، وبين المطالبة بإصلاحات سياسية واقتصادية، لكن لم يطالب المتظاهرون برحيل الرئيس «بوتفليقة» مثلما فعل التونسيون والمصريون مع «بن علي» و«مبارك»، لكن المتظاهرين طالبوا برحيل «أويحيى» من رئاسة الوزراء.

وكانت ولاية الجزائر قد أطلعت المبادرين بتنظيم هذه المسيرة عن رفضها الترخيص لها، مقترحة إحدى قاعات العاصمة لتنظيم هذه التظاهرة، وأرجعت السلطات منع المسيرات في الجزائر العاصمة إلى «أسباب لها صلة بالنظام العام، وليس للجم حرية التعبير فيها».

وأعلنت وزارة الداخلية والجماعات المحلية أنه لم يتم تسجيل أي طلب لتنظيم أي اجتماع أو تظاهرة عمومية، باستثناء الطلب الخاص بتنظيم مسيرة بولاية الجزائر.. وقالت في بيان: إنه «رداً على ادعاءات وسائل إعلام وصحفيين أجانب، فإن وزارة الداخلية والجماعات المحلية تعلم أنه باستثناء ولاية الجزائر التي سُجِّل بها تقديم طلب لتنظيم مسيرة يوم ١٢ فبراير ٢٠١١م، والتي تم رفضها لاعتبارات متعلقة بحفظ الأمن والنظام العموميين، فإنه لم يُسجَّل أي طلب آخر لتنظيم أي اجتماع أو تظاهرة عمومية للغرض نفسه عبر مختلف الولايات الأخرى».

ورغم انسحاب بعضهم، فإن المبادرين تمسكوا بتنظيم المسيرة؛ حيث قررت «جبهة القوى الاشتراكية»، وجمعية «تجمّع أعمال شبيبة» اللتان كانتا من قبل تدعمان هذه المسيرة عدم المشاركة فيها.

أما «الحزب الاشتراكي للعمال» فلم ينضم إلى هذه المبادرة، منددا بـ«المزايدة الشفوية والراديكالية الخالية من كل محتوى، والتي لا تتماشى مع المهام التي من المفروض أن يضطلع بها أولئك الذين يسعون فعلاً إلى التغيير الجذري».. واعتبر الحزب أنه «من الأجدر توجيه كفاح العمال والشباب ضد الهشاشة التي تولدت عن التحررية»، أما النقابة الوطنية المستقلة لموظفي الإدارة العمومية فقد صرحت بأنها «غير معنية بالمسيرة».

وجددت «حركة مجتمع السلم» (حمس) موقفها المتمثل في «عدم المشاركة في هذه المسيرة، وعدم تحمل المبادرات الفردية، مع احترام حق القوى السياسية والاجتماعية في التعبير بكل الوسائل المتحضرة، ومنها المسيرات السلمية، بعيداً عن كل مساس

مسيرة التغيير لم تطالب برحيل الرئيس «بوتفليقة» وإنما برحيل «أويحيى» من رئاسة الوزراء

أغلبية الأحزاب السياسية لم تشارك في الاحتجاج.. لكنها تطالب بضرورة التفعيل العاجل لقرارات ٣ فبراير

بالنظام العام».. ودعت الحكومةَ إلى «اعتماد إصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية جادة وعميقة، من شأنها الاستجابة لطموحات مختلف القوى الاجتماعية والسياسية».

مدن أخرى

ومـن جهـة أخـرى، تم تـفـريق ثلاثين شاباً معظمهم من طلبة «معهد التغذية والتكنولوجيات الفلاحية» دون تسجيل أي حادث خطير، وذلك عندما حاولوا التجمهر بوسط مدينة «قسنطينة».. فبعد أن نزعت منهم بعض اللافتات التي كانت بحوزتهم لاستعمالها في التظاهر، مغتنمين لأجل ذلك نداء مسيرة بالجزائر العاصمة، تلقوا نصائح من قِبَل رئيس وأعضاء جمعية محلية لمساعدة المرضى الذين أقنعوهم بالعدول عما كانوا يتأهبون للقيام به.

وفي مدينة «عنابة» (٥٠٠ كم شرق العاصمة الجزائر)، وتحديداً في «ساحة الثورة» التي عادة ما تعج بالمواطنين، تم إجهاض عملية احتجاجية كان عشرات الشباب يحاولون القيام بها للتجمع والتجمهر بدون لافتات أو شعارات، وذلك بالموازاة مع تعزيزات أمنية مشددة تم حشدها مساء السبت ولا تزال مرابطة حتى الآن.

وفي مدينة «وهـران» (٤٠٠ كم غرب العاصمة الجزائر)، تظاهر عشرات من الأشخاص بساحة «أول نوفمبر»، استجابة لنداء المبادرين إلى مسيرة ١٢ فبراير، ورفعوا شعارات تدعو إلى «إلغاء حالة الطوارئ، واسترجاع الحريات العامة، وإطلاق سراح الموقوفين أثناء المظاهرة».. كما حاولوا السير عبر شوارع المدينة، وتم منعهم من قِبَل قوات الأمن التي كانت منتشرة بموقع التجمع.

وقد منعت قوات الأمن، التي كانت متأهبة منذ الساعات الأولى من صبيحة السبت الماضي بساحة «أول مايو» والشوارع المجاورة لها، جميعَ محاولات المشاركين في المسيرة، الذين يصعب التمييز بينهم وبين الفضوليين والشباب المنددين بالأشخاص المطالبين بإسقاط النظام، والذين أطلقوا شعارات موالية للسلطة ومساندة للرئيس «بوتفليقة»، منها: «تحيا الجزائر»، و«بوتفليقة ليس مبارك»، و«الجزائر ليست تونس أو مصر».. وعند منتصف النهار، بدأ المتظاهرون يتفرقون في هدوء، بينما واصل العشرات منهم التظاهر إلى ما بعد الزوال.

وفي سياق متصل، اجتمع المكتب السياسي لحزب «جبهة التحرير الوطني» يوم السبت الماضي برئاسة الأمين العام «عبدالعزيز بلخادم»، وأصدر بياناً تضمّن إشادة الحزب بالقرارات المهمة والجريئة التي اتخذها رئيس الجمهورية «عبدالعزيز بوتفليقة» في آخر اجتماع لمجلس الوزراء يوم الثالث من فبراير الجاري.

ودعا الحزب في بيانه إلى «ضرورة التفعيل العاجل لتلك القرارات في جميع المستويات، بما يضمن تعميق الإصلاحات التي بادر بها رئيس الجمهورية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبما يستجيب لتطلعات مختلف فئات المجتمع».

وفي سياق متصل، دعا الحزب إلى «مواصلة الجهود لتجسيد التدابير الخاصة بالتشغيل ومواصلة مكافحة الفساد والوقاية منه، وكذا التحكم في الأسعار وحماية القدرة الشرائية للمواطن، وتحسين الخدمات العمومية، إلى جانب رفع حالة الطوارئ، وانفتاح الإعلام العمومي على جميع التيارات السياسية والجمعيات، وتوسيع دائرة الحوار».

وجدد الحزب موقفه من المسيرة التي سعت بعض الأطراف إلى محاولة تنظيمها في العاصمة رغم رفض السلطات الولائية الترخيص لها، ودعا الحزب إلى «عدم تعريض النظام العام للخطر، وإلى عدم المساس بأمن الأشخاص وممتلكاتهم، مع التأكيد في المقابل على حق القوى السياسية والاجتماعية المعتمدة في التعبير السلمي والحضاري عن مواقفها وآرائها، بما يتماشى مع القوانين، وبعيداً عن كل مساس بالنظام العام».. كما أشاد البيان بعدم استجابة المواطنين والمواطنات لمضامين الشعارات التي رفعها المنظمون.

وأشار الحزب إلى اهتمامه الكبير بالأحداث التي تشهدها الساحة الدولية وخاصة العربية، مؤكداً «احترامه لإرادة الشعبين التونسي والمصري، وتمسكه بالأواصر الأخوية والتاريخية التي تربط الشعب الجزائري بالشعبين الشقيقين في تونس ومصر، ووقوفه إلى جانب الشعبين الشقيقين في هذه الفترة المفصلية التي يمرّان بها».■

استفاقةٌ انتظرناها طويلاً، وكاد اليأس أن يجد له مكاناً في القلوب والعقول، لولا نور من قبس النبوة «الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة».. واليوم، تصنع تونس ومصر مجسّدات للأحلام المقدّسة؛ حيث تناغمتا تاريخياً، وأثّرت إحداهما في الأخرى.

أممٌ تُولد من جديد بعد عقود من الظلم

دروسٌ من الثورتين التونسية والمصرية



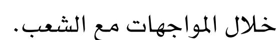
عبدالباقي خليفة (*)

أمةٌ تُولد من جديد بعد أعوام طويلة من الظلم والفقر والهزائم؛ حيث أعادت الثورتان التونسية والمصرية للأمة الثقة في الشعوب التي تتحمّل جزءاً من وزر الحكام الظالمين، عندما اغتصبوا سلطتها، وهجروا تعاليم دينها، وسرقوا ثروات شعوبها، فلم تصرخ والصراخ أضعف الإيمان.. فضلاً عن أن تضحي من أجل كرامتها، وتحقق مقاصد الخلق، بتفعيل منّة التكريم الإلهي «ولقد كرمنا بني آدم».

وقديماً قيل: «النار ولا العار».. جاء ذلك النداء مدوّياً من «سيدي بوزيد» في تونس، وسُمِع يوم ٢٥ يناير في أرض الكنانة؛ مصر الأزهر، والعز بن عبدالسلام، وقطز، والظاهر بيبرس.. وبين الاستجابة للتحدّي، ووصول الرسالة إلى «ميدان التحرير»، كانت هناك دروس كثيرة جديرة بالتسجيل.

العثور على الحل

كشفت الثورتان التونسية والمصرية أن شعوب الأمة كانت في سُبات عميق تحتاج فيه إلى الاستغفار المستمر دون انقطاع، وأن الأنظمة الحاكمة كانت تستفرد بالأحرار، سواء أكانوا مجموعات أم حركات أم قيادات أم طاقات أكاديمية أم صحفيين أم كُتّاباً أم غيرهم، وأن الصراع لم يكن متكافئاً.. وقد رأينا قوات الشرطة في تونس ومصر تنهار خلال المواجهات مع الشعب.



إذاً الدرس الأول هو أن أي تحرك يجب أن يكون مسنوداً شعبياً، وأن يتم إقناع قطاعات واسعة من الشعب بالخروج ضد السلطات الاستبدادية الفاسدة على كل المستويات.

التراكم يولِّد الانفجار

إن التحركات الفردية والجماعية ضد السلطات المستبدة ليست عبثاً؛ بل ضرورة ليستفيق بقية أفراد الشعب، وتكوين وعي سياسي لديهم بوجود مشكلات في البلاد غير التي يتحدث عنها الإعلام الرسمي، مع ظهور وسائل الاتصال الحديثة.. فالناس في حاجة لمن يضرب لهم المثل في التضحية، وقول كلمة الحق، ومواجهة الباطل والظلم والقهر، والاستئثار بالثروات والقرار السياسي.

وجميع أشكال النضال وما يترتب عليها من دفع لفواتير الحرية، من سجن وتهجير وتعذيب وحتى القتل، هي تراكمات تبقى في المخيلة الشعبية بطولات، إلى أن تصل الأمور إلى حد الغليان في نقطة فارقة، كالتي حدثت في تونس ومصر.

وقد كشفت الثورتان التونسية والمصرية عن هشاشة العصابات الحاكمة في البلاد العربية، ولاسيما تلك المرتبطة بالمنظومة الأمريكية، وكان الشعب يحسب لها – مخطئاً – ألف حساب، رغم وجود أعداد هائلة من قوات القمع التي أرهبت وترهب بها الشعب، حيث هناك ١٦٠ ألف شرطي في تونس، مقابل ٢٥ ألف جندي، في دولة يبلغ تعداد سكانها نحو ١١ مليون نسمة.. في حين يبلغ عدد قوات القمع المصرية مليوناً و٤٥٠ ألفاً مقابل ٣٠٠ ألف جندي، في شعب يبلغ تعداده نحو ٨٥ مليون نسمة.

وبدت الملايين التي يزعم الحزبان الحاكمان في القُطرين انخراطها في صفوفه كسراب يحسبه الظمآن ماء، فهي ليست سوى مجموعات من الانتهازيين الذين لا يتورعون عن إعلان تبرّؤهم من الأنظمة الحاكمة إذا شكّت في إمكانية استمرارها.. وعندما تنهار تكون أول من يكشف فظاعة ممارساتها، كما حصل في تونس بعد ١٤ يناير ٢٠١١م؛ حيث لم تخرج أي مظاهرة مؤيدة للدكتاتور المستبد «بن علي» أو حزبه.

أخبار الخيانة

من الأهمية بمكان، في معركتنا ضد الاستبداد، كشف الحياة الخاصة للمستبد، وعلاقاته الدولية، وأسرار تواطئه مع الأعداء التاريخيين للإسلام والمسلمين.. فعلاقات «بن علي» و«حسني مبارك» مع الكيان الصهيوني كانت روافد مهمة في تأجيج الغضب ضدهما ورافعات للثورة وحنق الشعوب عليهما وعلى الكيان الصهيوني الذي يهوِّد القدس، ويستمر في بناء المستوطنات فوق الأراضي المحتلة، ويحاصر قطاع غزة ويقتل سكانه بشكل بطيء، بينما أغلق «مبارك» الحدود مع القطاع، وساهم في الحصار، وحارب حركة «حماس»، وتواطأ مع الأعداء ضد الإسلاميين.

(*) كاتب تونسي





وقد كشفت وزيرة الخارجية الصهيونية السابقة «تسيبي ليفني» أن عدداً من الزعماء العرب يلتقون بها سراً في الفنادق، ويطلبون منها عدم كشف أمرهم.. فأي خيانة يرتكبونها في غفلة من شعوبهم؟!

ثروات الشعب

أمر آخر غاية في الأهمية، يكشف جانباً من حرص الزعماء العرب على البقاء في السلطة، بعد أن أصبحت «الدجاجة التي تبيض ذهباً»، و«البقرة المقدسة» التي وضعوا أنفسهم سدنة لها دون غيرهم، ومن ينازعهم إياها يقصمون ظهره.. فهذه السلطة التي يتمسكون بها، يسرقون من خلالها ثروات الشعب، وهذه السرقات وراء حالة البطالة التي يعيشها آلاف الشباب، وحالة التخلف التي تعيشها البلاد، والتراجع الرهيب الذي يهدد مستقبل الأجيال.

فعائلة «بن علي» كانت تتحكم في ٤٠٪ من الاقتصاد التونسي، وتتجاوز ثروتها ٤٠ مليار دولار، وهو رقم بإمكانه أن يجعل تونس جنة على الأرض.. أما ثروة «آل مبارك» فتصل إلى ٧٠ مليار دولار، وهي بدورها كافية لتشغيل جميع العاطلين في مصر، وإحداث نقلة نوعية في بنية الاقتصاد المصري.

سحرة فرعون

يحيط لصوصُ الحكمِ في البلاد العربية أنفسَهم بمجموعة ممن يُطلقون على أنفسهم تجاوزاً «مثقفين»؛ لأن المثقف الحقيقي هو الذي ينحاز للشعبِ حتى وإن أغضب السلطة، ولا يُعَدُّ مثقفاً إذا لم يفعل ذلك، حتى لو كان مَنْ في السلطة من التيار الذي ينتمي إليه.. فالمثقف الحقيقي - كما يقول «أنطونيو جرامشي» - «لا يُعدم الرؤية التي يكشف من خلالها مكامن القصور في أداء السلطة على جميع المستويات».

وكان «بن علي» و«حسني مبارك» أكثر مَن استخدم «مثقفي الإيجار» المستعدين لخدمة المستبد مقابل الفُتات، وغالباً ما يبررون ذلك كذباً بأنهم يخدمون مبادئهم، فمتى كانت المبادئ تُخدم من خلال التمكين للاستبداد الذي لا يمكنه أن يصنع نهضة، وإنما نكبات متتالية تحيق بالشعب.

الشعوب في حاجة لمن يضرب لهم المثل في التضحية وقول كلمة الحق ومواجهة الباطل والظلم والقهر

أي تحرّك يجب أن يكون مدعوماً بإقناع قطاعات واسعة من الشعب بالخروج ضد السلطات الاستبدادية الفاسدة

تاريخ جديد

لقد فرّخت الأنظمة المستبدّة كل الشرور والموبقات والظواهر السلبية الخطيرة، فهي المسؤولة عن ظهور ما يُطلق عليه «الإرهاب»، وهي المسؤولة عن البطالة والفقر، وهي المسؤولة عن التخلف، وهي المسؤولة عن حالة التكلس الإقليمي، بينما تصعد إيران وتركيا والهند والنمور الآسيوية والكيان الصهيوني.

وأصبحت الشعوب والبلدان وما تحتويه من ثروات ملكاً خاصاً للأنظمة المستبدة التي تتاجر بها في أسواق النخاسة الدولية، وتوزع الثروات على الشركات الأمريكية والأوروبية لحماية عروشها.

وأصبحت بلداننا خاضعة للإملاءات الخارجية ومراعاة مصالح الغرب على حساب الشعب والأمة، وبالتالي لم نصبح ملكاً خاصاً للحاكم فقط، بل لأمريكا والغرب عموماً، يغيّرون مناهج تعليمنا، ويرسمون خطط اقتصادنا، ويحددون سقف سياساتنا، ويجعلون من أرضنا قواعد عسكرية لأحط ما أفرزته مجتمعاتهم من أنواع البشر.

إن الجرأة في نقد الحاكم، ومن ثم الثورة بعد تهيئة متطلباتها، وكسر حاجز الخوف، والشعور بالمسؤولية، وتكرار السؤال: لماذا كل هذا السكوت والسكون في مواجهة الظلم والسرقات والخيانات؟ هو ما نتعلمه من الثورتين التونسية والمصرية.

وفي الثورتين التونسية والمصرية، شعر الكثيرون بأنهم مدعوون لصنع تاريخ جديد لبلدهم، وأحسَّ كل فرد بأنه مسؤول عن ذلك، لذلك شهدنا ونشاهد الملاحم التي يصنعها الشباب والكهول والشيوخ من كلا الجنسين، فالتضحية هي طريق الخلاص، وينبغي ألا ننتظر أن يضحي أحد من أجلنا ليخلصنا؛ بل نحن جميعاً يجب أن يكون أول من يفعل ذلك، فبالتضحية تُوهب الحياة.■



مساحة حرة

من يمثل الشعب؟

بعد تفجر الثورة الشعبية المصرية اختلطت المفاهيم كثيراً، وتعالت الدعاوى والمزاعم، كل يهتف: أنا الشعب، وحين يعلو الهتاف يسقط حق الآخرين في الاعتقاد والتفكير والتعبير.. فكل من هو غيري هم قلة قليلة مندسة حادت عن طريق الصواب، ولو كانوا ملايين كثيرة وكنت أنا واحداً!!

لقد وضع النبي ﷺ نظاماً للتمثيل النيابي قبل أن تمارسه البشرية بمئات السنين، لما أخرج البخاري في الصحيح أن النبي ﷺ يوم «أوطاس»، لما أتاه بنو هوازن فسألوه أن يرد عليهم السبي والغنائم قال: «ما كان لي ولبني هاشم فهو لكم، وما كان للناس فدعوني حتى أسألهم»، فسأل الناس فكثر عليه اللغط فلم يدر من قبل ممن رفض، فقال: «أخرجوا إليّ عرفاءكم»، فأخرج الناس إليه عرفاءهم فأخبروه أنهم رضوا. فالعرفاء هم النواب الذين ينوبون عن الناس فيمثلونهم، لأنه لو تكلم الناس جميعاً لم يعرف من رضي ومن رفض، ولذلك قال: «أخرجوا إليّ عرفاءكم»، وقد أخرج أبو داود في السنن أن النبي ﷺ قال: «لا يستقيم الناس إلا بعرفاء».

واليوم بعد أن خرجت الملايين من شعب مصر وأسقطت نظام حكم، واجهتنا المعضلة الكبرى، وأصبحنا نبحث من جديد عن تعريف للشعب وممثليه، وهل هذه الحشود المليونية تمثل الشعب؟ أو هل هي كل الشعب؟

وما مدى انقسام الشعب أو التفافه حول المطالب المرفوعة؟

بل وما مدى التفاف الجماهير الثائرة ذاتها حول مطالب محددة بعينها؟

وبدأت حيل الإغراق في التفاصيل الدقيقة من قبل وسائل إعلام السلطة، مثل: هل يكون التفاوض قبل أم بعد التنحي؟

وكيفية معالجة الوضع الدستوري؟

وهلم جرا في محاولة لإغراق ماراثوني لتفريغ الاحتجاجات من مضمونها..

وفي ظل غياب متعمد وممنهج لوسائل استطلاع الرأي، ورفض الاعتراف بأن الثورات المليونية تمثل الشعب، فهل نلجأ إلى الاستفتاء العاجل تحت إشراف الأمم المتحدة باعتبارها هيئة دولية وليست دولة أجنبية تفرض هيمنتها؟

أم نعود لنظام التوقيعات التي اتبعها سعد زغلول والوفد المصري في المفاوضات مع الإنجليز (عام ١٩١٩م) في عصر ما قبل الاتصال والإعلام؟■

علاء سعد حسن



الخروج الكريم

آلمني أمران في الأحداث التي جرت في مصر حتى الآن؛ أولهما: المنظر المفجع الذي رأيناه جميعاً على شاشات التلفاز حينما قامت شرذمة سلّطها النظام الحاكم المصري للاعتداء على شعبه وقتله بشكل صارخ ووقح أمام شاشات العالم بأسره، دون أي خوف من المساءلة القانونية، وكأن الأشخاص الذين نظموا لذلك الأمر ودفعوا له يضمنون خلاصَهم، وأن هناك من يدعمهم أمام كل هذا التيار العالمي الذي هبَّ وفُجع مثلنا لرؤية تلك الجرائم الدنيئة.

أما الأمر الآخر والذي أصابني في مقتل: فهو الدعوات المتكررة التي كنا نسمعها من بعض الناس في الشارع المصري، وفي أجهزة الإعلام المصرية الحكومية وغير الحكومية من أنْ يُمنح «مبارك» ما يدعونه بـ«الخروج الكريم»!..

لكم وددت وأنا أستمع إلى تلك الكلمات أن أصرخ في وجه هؤلاء وأقول: من منحكم الحق لتتنازلوا عن الحق الشرعي في مساءلة أي إنسان - رئيساً كان أم غفيراً - قام بقتل ولو إنسان واحد؟

أما أن يقوم رئيسٌ بقتل شعبه الأعزل الذي خرج للتعبير عن رأيه عمداً وجهاراً (هذا بخلاف الجرائم الأخرى الوضيعة من سحب الأمن من البلاد، بل وإطلاق المجرمين في الشوارع للتخريب والقتل والسرقة) فهذا والله أدهى وأمر!

وأود هنا أن أوجه كلماتي لهؤلاء الذين ينادون بحفظ كرامة رئيسهم، ويتفوهون بأشياء لم أسمع لها مثيلاً على غرار «ما هي صورتنا أمام العالم إذا قدّمنا رئيسنا للمحاكمة؟»، و«ماذا نريد برجل قد تخطى الثمانين من عمره؟!».

أقول لهم: هل أنتم أعلم من الله سبحانه إذ قال: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴿١٧٩﴾﴾(البقرة).

إنَّ القصاص من كل من قام بتلك الجرائم وشارك فيها لهو حق شرعي لمن سالت دماؤهم ظلماً، ولا يملك أيّ منا أن يتنازل عن هذا الحق؛ لأنه ليس ملكاً لنا وحدنا!





ومن ناحية أخرى – قد تفوقها أهمية – إن في القصاص ردعاً لأي حاكم قادم من أنه ليس فوق القانون!

أريد أن أسأل هؤلاء «العاطفيين»: هل «مبارك» أشرف من فاطمة رضي الله عنها، التي قال عنها أبوها ﷺ: «إنها سيدة نساء العالمين وأم سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين»؟ وهل حبكم لـ«مبارك» أكبر من حب رسول الله ﷺ لابنته التي عُرفت بأنها أحب بناته إليه؟

إذن، فما قولكم فيما قال ﷺ: «من أن فاطمة لو سرقت لقطعت يدها»؟

ثم هل طاعة الحاكم تعني عدم محاسبته إذا ما قتل أو سرق أو انتهك الحرمات؟

فهل «مبارك» أحب إلينا من فاطمة إلى أبيها ﷺ، حتى لا نعرضه للمساءلة القانونية؟ أي شعب ذي كرامة يقبل هذا؟ ماذا جرى لكم وأيّ إصلاح هذا الذي تريدون للوطن وهو يبدأ بباطل وأكبر هدر للحقوق؟

فهل نحاسب أمثال «عزّ» و«العادلي» ونتجاوز عن «مبارك» الذي نصّب نفسه «مسؤولاً» فوق كل هؤلاء؟■

مواطن عربي - أستراليا

رحل «مبارك»..وتبقى مصر

الدخول الأمريكي الفج على خط الأزمة المصرية عقّد وأربك كل الحلول التي كانت تلبي مطالب الشعب المصري وانتفاضته المباركة..

إن إلحاح أمريكا في طلب رحيل «مبارك» يثير العديد من التساؤلات حول المغزى السياسي والهدف من وراء ذلك، فالرئيس المصري السابق لم يتغير، وهو ذات الشخص الذي قدّم للولايات المتحدة و«إسرائيل» أكبر الخدمات، وحافظ على علاقات بلاده المميزة مع أمريكا والعدو الصهيوني، هذه العلاقة التي يرفضها الشعب المصري بأغلبيته الساحقة، كما أنه الرئيس العربي الأكثر طاعة وانسجاماً مع الولايات المتحدة وإملاءاتها الاقتصادية والسياسية المعروفة في المنطقة.

أما الهدف من الإلحاح على تغيير الرئيس المخلوع واستبداله بالسيد «عمر سليمان» بضمانة المؤسسة العسكرية؛ يعود لخشية أمريكا من انفلات الأمور من يد حلفائها داخل مصر، وانتقال السلطة ليد المعارضة أو القوى الجديدة، التي في أغلبيتها ضد علاقة التبعية الراهنة للولايات المتحدة، وضد استمرار عملية السلام مع «إسرائيل»، وتسعى لقطع كافة العلاقات معها.

إن تصوير ثورة الشعب المصري وكأنها صناعة أمريكية من جانب أزلام النظام المصري وأيتامه، يمثل قمة السخرية والاستخفاف بذكاء الشعب المصري وحس أبنائه الوطني، ذلك أن نظام «حسني مبارك» لم يُعرف عنه سابقاً عداؤه للولايات المتحدة الأمريكية بل العكس هو الصحيح، ولو أضفنا على ما سبق حديث الرئيس المصري وبعض معاونيه عن رفض التنحي؛ لخوفهم من انتشار الفوضى، أو استيلاء «الإخوان المسلمين» على السلطة، فإن الصورة ستبدو أكثر كاريكاتيرية ومدعاة للسخرية، يعرف الجميع في مصر وخارجها أن حركة الإخوان المسلمين ليست في ذهنها تولي قيادة مصر، وهي لا تستطيع ذلك لأسباب كثيرة ليس هنا مجالها، كما أن حركة الإخوان المسلمين تدرك أن القفز على هذه الثورة وركوبها بالمعنى الانتهازي سيفقدها احترام الناس.

وكان المسؤولون المصريون من أنصار ما يسمى بالاستقرار، قد أكدوا بأن رحيل «مبارك» الآن سيترك فراغاً بالمعنى الأمني والدستوري وسيؤدي إلى الفوضى، وهذا استنتاج خاطئ كان يقصد منه إطالة عمر النظام، وإضعاف مصداقية المعتصمين في «ميدان التحرير»، إن ما تطرحه الجماهير واضح في هذا الشأن، ذلك أن مطالبها تحمل مضمون الانتقال السلمي للسلطة، والتدرج في تغيير طبيعة النظام، يتنحى الرئيس «مبارك»، ثم يجري حل مجلسي الشعب والشورى، وتشكل حكومة انتقالية أو هيئة مستشارين من كافة القوى السياسية والمجتمع المدني بما فيها شباب الانتفاضة، مهمتها تقديم اقتراحات محددة بالتعديلات الدستورية والإشراف على إجراء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية.

إن الشأن القانوني المرتبط بعمل غطاء لشرعية الإجراءات الثورية في المرحلة الانتقالية يمكن إلقاء مسؤوليته على أساطين القانون في مصر، وهم متواجدون بكثرة.

ألم يكن حرياً بالذين يدعون ملايين الناس المنادية برحيل «مبارك» للعودة لبيوتهم أن يطلبوا من رجل واحد العودة لبيته، وترك المقر الرئاسي حفاظاً على النظام العام ودرءاً للفتنة؟

هل مصر عقيمة إلى هذه الدرجة كي يربط أمنها واستقرارها برجل بلغ الثالثة والثمانين من العمر، وأنتج أسوأ نظام وأكثره فساداً في تاريخ مصر؟

مصر العربية تملك الإمكانات البشرية والعقول القادرة على إدارة هذه الأزمة بطريقة حضارية وسليمة.

إن استعادة مصر لدورها العربي والإقليمي والدولي كان لا يمكن أن يتم في وجود «مبارك» وفريقه، كما أن أهداف الثورة لم تكن تتحقق في وجود هؤلاء في سدة الحكم، ولهذا فإن الشعار المناسب للرد على التشكيك والتخويف هو: «رحل «مبارك».. وتبقى مصر».■

زياد أبو شاويش
فلسطين



وأينما ذُكِرَ اسم الله في بلد
عددتُ أرجاءَهُ من لُبِّ أوطاني

كوسوفا: بدء تنفيذ برنامج الماجستير في الاقتصاد الإسلامي

بدأ تنفيذ برنامج ماجستير في العلوم المالية الإسلامية، وخاصة قسم البنوك، ويشمل البرنامج التعلم عن بعد، الذي سيتم تقديمه من قِبَل «الجامعة الإنسانية» في ماليزيا، وقد تم الاتفاق على هذا البرنامج بين رئاسة الاتحاد الإسلامي والجامعة المذكورة.

ويُتاح للطلاب إمكانية التسجيل من خلال رئاسة المشيخة الإسلامية في كوسوفا، كما يمكن الحصول على جميع المعلومات حول البرنامج، ولها علاقة مع الدراسات في المشيخة الإسلامية.. كما يتيح البرنامج إمكانية التقدّم للاختبارات في مقر رئاسة الاتحاد الإسلامي، وسوف يتم عقد الامتحانات النهائية تحت إشرافها، بدون السفر إلى ماليزيا أو أي بلد آخر.■

إسبانيا: اجتماع الجمعية العامة للجالية الإسلامية بـ«ألماثان»

عقدت الجمعية العامة للجالية الإسلامية بمدينة «ألماثان» الإسبانية اجتماعاً في مقرها الأسبوع الماضي بحضور جميع أفراد المجلس.

وقد بدأ الاجتماع بكلمة لرئيس الجمعية أخبر من خلالها الحضور عن الموازنة الاقتصادية لعام ٢٠١٠م، وبعد عدة مناقشات وافقت الجمعية بالإجماع على هذه الموازنة.. كما تناول الاجتماع أيضاً الأنشطة التي ستُقام في عام ٢٠١١م، وخاصة تلك التي تدعو إلى التعايش.

وجرت أيضاً مناقشة النقاط المدرجة بجدول الأعمال كما هو متفق عليه؛ للحفاظ على الثقة في المجلس الحالي.■

دراسة: تضاعُف أعداد المسلمين في الدول الإسكندنافية



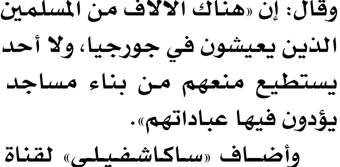
قامت مؤسّسة أمريكية تُدعى «منتدى الحياة العامة والأديان» بدراسة أظهرت أن عدد المسلمين في الدول الإسكندنافية قد تضاعف خلال السنوات العشر الأخيرة.

وطبقاً لهذه الدراسة، فقد أصبح عدد المسلمين في الدنمارك ضعف ما كان عليه في عام ١٩٩٠م، في حين وصلت نسبة الزيادة في السويد إلى ٢٠٠٪، أما في النرويج فتعدّت الزيادة ١٦٠٪؛ حيث ازداد الاهتمام بالإسلام بشكل سريع في الدنمارك التي تسبّبت برسوماتها المسيئة للرسول ﷺ في غضب واسع النطاق بين المسلمين.

وبينما تشير دراسات سابقة إلى تضاعُف عدد المسلمين في جميع أنحاء العالم بحلول عام ٢٠٣٠م، أعلنت هذه الدراسة أن المسلمين سيشكلون ربع سكان الأرض في العام نفسه، بينما كانت نسبتهم خُمس العدد الإجمالي لسكان العالم عام ١٩٩٠م.

كما أظهرت الدراسة نتيجة أخرى لافتة، وهي أن الزيادة التي تحدث في عدد المسلمين مرتبطة بالزيادة في عدد المسلمين في الدول غير الإسلامية، وليس الزيادة في تعداد الدول الإسلامية نفسها.■

الرئيس الجورجي: للمسلمين الحق في أن يكون لهم مساجد في بلادنا


ميخائيل ساكاشفيلي

صرّح الرئيس الجورجي «ميخائيل ساكاشفيلي» بأنه لا جدال في أن يكون للمسلمين مساجدهم، وقال: إن «هناك الآلاف من المسلمين الذين يعيشون في جورجيا، ولا أحد يستطيع منعهم من بناء مساجد يؤدون فيها عباداتهم».

وأضاف «ساكاشفيلي» لقناة (IPK) التلفزيونية: إنه «برفض بناء المساجد في جورجيا، فإننا ننكر بذلك حقوق الآلاف من المسلمين الذين يعيشون في بلادنا، ومن بينها حقهم في أن يكونوا من مواطني جورجيا».

وقال الرئيس الجورجي: إن «المسلمين هم جزء من السكان الجورجيين، ولا يمكن إنكار حقهم في مواصلة تأديتهم تقاليدهم الدينية.. من السهل اتخاذ الشعارات الشعبوية، ولكن يجب أن يكون لنا موقف مسؤول تجاه مواطنينا بغض النظر عن هويتهم الدينية والوطنية».

وتابع: «لقد اتفقنا على بناء عدة مساجد مقابل إعادة تأهيل كنائسنا في تركيا، وأعتقد أنه لا يوجد شيء خاطئ هنا، وليست هناك أي مشكلة في التوصل إلى اتفاق مع الجانب التركي».

يُذكر أن المسلمين يشكلون نسبة تبلغ نحو ١٠٪ من تعداد السكان في جورجيا.■

«ذي إندبندنت»: أوروبا قد تحظر الأعشاب الطبية خلال ٢٠١١م

ذكرت صحيفة «ذي إندبندنت» البريطانية أن أوروبا في طريقها لحظر بيع مئات الأنواع من الأعشاب الطبية خلال العام الجاري، مشيرة إلى ضرورة حصول البائعين على تراخيص طبية باهظة التكاليف، وسط انتقادات بأن «هذه القوانين غير مناسبة، وتبعث على التمييز بين الناس».

وأوضحت الصحيفة أنه سيتم تطبيق قانون حظر بيع أنواع متعددة من الأعشاب الطبية في أوروبا بعد حوالي ثلاثة أشهر، وأن كثيرين سيفتقدون فرصة استخدام علاجات عشبية تداولوا بها لعقود من الزمان.

واعتباراً من الأول من مايو القادم، فإن بيع المنتجات التقليدية من الأعشاب الطبية يجب أن يكون مرخصاً ومحدداً بشركات متخصصة، وفق التعليمات الأوروبية التي تم إقرارها عام ٢٠٠٤م. ■

خدمة خاصة من: وكالات - مراسلي 

مظاهرات «الغضب» تتخطّى الحواجز إلى القصر الرئاسي

المعارضة اليمنية ترفض مبادرة «صالح».. وقوات الأمن تقمع المحتجّين!



تمكّن طلاب يمنيون معارضون للرئيس «علي عبدالله صالح» يوم الثلاثاء الماضي من تجاوز معتصمين موالين له وحاجز أمني، وتوجّهوا في مسيرة نحو «ميدان السبعين» في العاصمة صنعاء حيث القصر الرئاسي.

وذكرت وكالة الأنباء الفرنسية أن الطلاب تمكنوا من الخروج من حرم جامعة صنعاء، مستخدمين مخرجاً جانبياً لتخطي متظاهرين موالين للرئيس معتصمين أمام المبنى، وردّد المتظاهرون «الشعب يريد إسقاط النظام».

وتجدّدت الاشتباكات بين المتظاهرين من المعسكرين - المعارض والموالي للرئيس - بالعصي والحجارة وأعقاب الزجاجات، مما أسفر عن سقوط عدد من الجرحى، وكان المتظاهرون من المعسكرين قد اشتبكوا يوم الإثنين الماضي، بينما اتهم متظاهرون «بلطجية» تابعين للحزب الحاكم بمهاجمتهم.

كما طارد المسلحون الموالون للحكومة الآلاف من المتظاهرين المناهضين لها في العاصمة، وأدخلت الشرطة التي كانت تحاول التفريق بين الجانبين عدة آلاف من المحتجين إلى حرم جامعة صنعاء بالقرب من مكان احتشادهم لوقف إراقة الدماء.

وقال شهود عيان: إن العديد من المواطنين أصيبوا في الاشتباك، كما أكّد مصوِّر يعمل في هيئة الإذاعة البريطانية أنه تعرّض لضرب مبرح على أيدي أفراد من الشرطة.

وهتف المحتجون مطالبين برحيل «صالح»، الذي تولى الرئاسة قبل أكثر من ثلاثين عاماً.. وتأتي تلك الانتفاضة اليمنية في وقت شهدت فيه تونس ومصر «ثورة شعبية» أدت إلى إسقاط النظام الحاكم في كلٍّ منها.

من جهة أخرى، أصدر المجلس الأعلى لتحالف أحزاب «اللقاء المشترك» (المعارضة) بياناً؛ تضمّن رفضه للمبادرة التي أطلقها الرئيس اليمني بشأن العودة للحوار الوطني، كما تضمّن مجموعة مطالب موجّهة إلى حزب «المؤتمر» الحاكم.

وصرّح مصدر مسؤول في المجلس بأن «المعارضة لم ترحّب بما سُمّي مبادرة الرئيس، وإنما يُنظر إليها كأفكار عامة تحاول أن تبحث عن مخرج من المأزق الذي وضع فيه الحزب الحاكم نفسه».■

٦٣٢ مليار دولار.. قيمة الأغذية «الحلال» حتى عام ٢٠١٠م

طبقاً لآخر الأبحاث التي قام بها «منتدى الحلال العالمي»، بلغت قيمة سوق الأغذية الحلال العالمية ٦٣٢ مليار دولار حتى عام ٢٠١٠م، ويتوقع ارتفاع هذا الرقم أكثر في حال أُضيف المستهلكون غير المسلمين أيضاً.

وتبلغ قيمة سوق الأغذية الحلال في أوروبا ٦٦ مليار دولار، منها ١٧ مليار دولار تعود لـ«فرنسا» وحدها، ويبلغ حجم مبيعات اللحوم الحلال في بريطانيا فقط ٦٠٠ مليون دولار سنوياً.

وبجانب هذا، يبلغ معدل استهلاك مسلمي الولايات المتحدة للأغذية الحلال ١٣ مليار دولار سنوياً، أما دول الخليج العربي فتستورد أغذية حلال بمقدار ٤٤ مليار دولار في العام.

وفي حين تجاوزت تجارة الأغذية الحلال في الهند ٢١ مليار دولار، تعدّى استهلاك إندونيسيا ٧٠ مليار دولار سنوياً، وهي أكبر دولة إسلامية في العالم.

ويفيد خبراء صناعة الأغذية الحلال بأن ٨٠٪ من تجارتها تتم في دول غير إسلامية، صارت أكبر مصدري المنتجات الحلال في العالم عن طريق استخدامهم شعار «حلال» من أجل منافعهم الاقتصادية.■

وفاة «الراجحي» رجل الاقتصاد الإسلامي الكبير



فقد الاقتصاد الإسلامي يوم السبت ١٢ فبراير الجاري رجل الأعمال السعودي الشهير صالح بن عبدالعزيز الراجحي (٨٨ عاماً) بعد صراع طويل مع المرض.

ويذكر أن صالح الراجحي عميد عائلة الراجحي، ومن مؤسسي مصرف الراجحي للاستثمار الذي تأسس بجهود شقيقه رجل الأعمال المعروف الشيخ سليمان الراجحي، وبعد سنوات انضم إليهما الأخوان عبدالله ومحمد الراجحي.

والشيخ صالح الراجحي من بني زيد من نجد، ولد في «البكيرية»، ومنها بدأ أول أعماله كتاجر خردة، ومن ثم انتقل إلى الرياض وأصبح تاجراً للعملة فيها.

ويُعرف الرجل بأعمال الخير وكثرة عمارته للمساجد وحلقات القرآن والوقف الخيري الكبير الذي رصده لأعمال البر.

ويعد مصرف مؤسسة الراجحي الذي أسس عام ١٣٥٦هـ الموافق ١٩٣٧م من أقدم وأبرز المصارف الوطنية بمدينة الرياض، وفي عام ١٣٩٨هـ اندمج مع إخوانه، عبدالله، وسليمان، ومحمد في «مؤسسة الراجحي للصرافة والتجارة»، وتحولت فيما بعد إلى شركة الراجحي المصرفية للاستثمار (شركة مساهمة سعودية، والآن تعرف باسم مصرف الراجحي).

ذهب صالح الراجحي وإخوانه للشيخ محمد بن إبراهيم، وعاهدوه على طهارة تعاملات البنك من الربا، وسيّرها وفق الشريعة الإسلامية.

وجمعية الإصلاح الاجتماعي تتقدم بخالص العزاء لعائلة الراجحي الكرام، داعين الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته، ويسكنه الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.■





بقلم: أ. د. عماد الدين خليل (*)

الحصار

يعاني الإنسان المعاصر من «الحصار».. الإنسان في العالم كله.. غربه وشرقه على السواء.. قد تختلف النسب بين بيئة وأخرى، وقد تتغاير أنماط الحصار هنا وهناك.. ولكن، وبشكل عام، يبدو أن المعاناة التي تتمخض عن الحصار الذي يأخذ برقاب الإنسان المعاصر، غدت أمراً محتوماً في حضارة لم تعد تكترث بإنسانية الإنسان، أو تتعامل معه بصفته كائناً فريداً ذا مواصفات قل نظيرها بين الكائنات.

حصار التكاثر بالأشياء.. حصار الآلة.. حصار النظم الشمولية.. حصار المادية.. حصار الطواغيت والأرباب.. حصار الإغراء والتفكك والانحلال.. حصار التلوث البيئي بأصنافه كافة.. حصار القلق والاكتئاب..

وكل واحد من هذه الأنماط يعمل منشاره في الإنسان المعاصر فيسوقه إلى التعاسة والشقاء.. ويقوده إلى الدمار..

الأمراض النفسية ازدادت سعاراً.. وقاموسها أصبح ينوء بحالات متكاثرة سرطانياً.. والأوجاع الجسدية، الموقوتة والمزمنة، أصبحت هي القاعدة وغيرها الاستثناء.. وإلى عهد قريب كانت حالات ضغط الدم، والحساسية، والتهاب القولون، وانسداد الشرايين، وآلام المفاصل والانزلاق الغضروفي، وأوجاع القلب والرأس.. والجلطات والذبحات.. وغيرها، وغيرها، حالات محدودة لا تكاد تذكر.. والآن، فإن معظم الناس في مشارق الأرض ومغاربها يعانون من واحد أو أكثر من هذه الأمراض.

لقد توافرت للإنسان المعاصر كل سبل التيسير المادي والخدمي، ولكنه ليس بسعيد، لأنه على المستوى النفسي في دائرة الروح يعاني من إهمال منقطع النظير، حضارته المعاصرة تمنح جسده ما يريد، ولكنها لا تكاد تستجيب لمطامحه وأشواقه وخبراته النفسية والروحية، إن الإنسان المعاصر يعاني من واحدة من أبشع حالات التضحّل والتفكيك في عمقه الإنساني، ومن ثم فهو يتعرض بالضرورة للضياع فيما يذكرنا بالمقولة المعروفة: «ماذا لو ربح الإنسان العالم وخسر نفسه؟».

في كتاب «أريك فروم» «الإنسان بين الجوهر والمظهر» يطرح المؤلف هذا التساؤل الخطير: نتملّك أم نكون؟ وكأنه بذلك يختصر المعضلة بكلمات قلائل.. فالذي يحدث الآن على مستوى العالم أن الحضارة المعاصرة تفتح المجال للإنسان على مصراعيه لكي يتملك، لكنها تضيّق الخناق عليه، وتسدّ السبل أمامه إذا حاول «أن يكون».

و«الدين» هو صوت الخلاص، وسبيل التحرّر والفكاك من كابوس الحصار.. «الدين» هو المنهج والصراط للتحقق بالسوية الإنسانية.. «الدين» هو وحده القادر على تعديل الوقفة الخاطئة، والعودة بالمعادلة البشرية إلى وضعها الطبيعي: أن يصبح هدفنا أولاً هو أن نكون.. أما التملك فالمفروض أن يأتي تالياً، خلافا تماماً لما يحدث الآن في الخبرة الحضارية المعاصرة.

هذا التكاثر المجنون بالأشياء.. هذا السعي المحموم للاقتناء.. هذا النزوع المادي والاندفاع باتجاه مطالب الجسد.. هذه الآلية الطاغية التي تخترق مفاصل الحياة وشرايينها، وتزداد سعاراً يوماً بعد يوم.. هذا التلّوث المخيف الذي يخترق معادلات الأرض، ويملأ سماءها بالدخان والسموم..

وبموازاة ذلك كله، يتعرض الإنسان لأبشع صيغ القسر والاستلاب من خلال النظم والطاغوتيات التي تتحكم برقابه، فما يزداد إلاّ تعاسة وشقاءً.. ويوماً بعد يوم يفقد بعده الإنساني ويضيع..

الحصار يحيط بالإنسان من جهاته الأربع، ويمنعه من أن «يكون».. ومن أجل ذلك يصير الدين ضرورة من الضرورات.. لأنه مركب الخلاص الوحيد إذا أريد للبشرية ألاّ تتعرض للغرق.. وللإنسان أن يكون.■

(*) مفكر إسلامي وأكاديمي عراقي